إلى القارئ

إن في عزم كتابة الدولة للشؤون الثقافية اتخاذ جملة من التدابير لتنمية حركة الانتاج الادبي نرجو ان تتحقق وان يكون لها الأثر المنشود ٠

ذلك أن منحا ذات بال سترصد لتشجيع المؤلفات سواء الدراسات الادبية منها او المسرحيات والقصص أو دواوين الشعر أو قصص الاطفال وكذلك المخطوطات المحققة والمترجمات والمقتبسات الادبية ، الى جانب الالتزام بشراء كمية من النسخ المطبوعة ورصد جائزة لكتاب الموسم تأليفا واخراجا ٠

هذه اجراءات طالما نادينا بها واعتبرناها شرطا من شروط التغلب على أزمة الكتاب التونسي ، وحافزا للمثقفين ببلادنا حتى يتشجعوا ويقدموا مخطوطاتهم الكثيرة الى دور النشر ، وبالخصوص محركا لهمم شباب الادباء وهم كثر بتونس ، والحمد لله ، وعليهم المعول في نهضتنا الادبية اذ انهم لم يقاسوا الاضطهاد الثقافي الذي عرفناه في أيام الاستعمار ولا عانوا المركبات المختلفة التي كان يشكوها عدد كبير من ادباء الجيل السابق ٠

ومما يزيد في تفاؤلنا هو ان هذا التشجيع يشمل او يكاد كل فروع الادب وابواب المعرفة وأنه يتناول الانتاج في مستويات كثيرة ويرعاه بشتى الصور٠

وإذا تحقق هذا الامل ، ونحن لا نشك في ذلك ، فانه لم يبق عائق جدي في طريق ازدهار الحركة الثقافية عندنا ، ولم تبق تعلة يبرر بها رجل الادب قلة انتاجه ؛ ويكون حينئذ هو المسؤول وحده عن نجاحه أو فشله ٠

بقي أن نلفت أنظار المسؤولين الى وجوب تزويد أعضاء اللجان المختصة بابداء الرأي فيما يقدم لهم من الانتاج بالتعليمات اللازمة حتى يضعوا نصب اعينهم واجب التشجيع قبل كل شيء ولو في مرحلة أولى نقضي فيها على أزمة الكتابة والنشر ثم نتدرج الى طلب القيمة واشتراط الكيف ٠

ومهما يكن من أمر فانها بادرة ايجابية نشكر عليها سلفا كتابة الدولة للشؤون الثقافية والدولة التونسية المؤمنة برسالة الثقافة والجاهدة في سبيل نصرة الفكر وأهله ٠

الفكر

السفينة العائدة

شعر : عبد المجيد بنجدو

ـ : يا بسمة فى ثغرها   تفتحت عن جوهر
وكلمات خلتها   منسوجة من درر
ببلدى شاهدتها   تبقى بقاء الأثر

* * *

ـ : سالت كنهر من شعاع   مرمرى الصور
منقوشة أفياؤه   خلف الربى والشجر
خلف ضباب يتهادى   كشراع مبحر

* * *

ـ : ظلاله راقصة   مبهورة بالقمر
مذ حلمت فى الليل بالفجـ   ـر وريح العنبر
وأنشدت أشواقها   توقظ عين السحر

* * *

ـ : تزرى بسمفونية   مذعورة لم تخطر
وقعها قلب محب   فى الهوى لم يفتر
وحلقت عالية   فوق رنين الوتر

* * *

ـ : لله ما قد تركت   من نغم وعبر
أى صدى ردده   يوم الرجاء الأكبر
والشعب فى الشارع   كالسيل ودفق الأنهر

* * *

ـ : هتافه عاصفة — تشق قلب الحجر
من قبل كانت ثورة — مكبوتة فى ضجر
عاصفة المشتاق — يبكى دمعة المنتظر

* * *

ـ : اليوم عودة — الأحرار يوم الموعد
عودة من رد الطغا — ة للهدى والرشد
من حرر الأوطان من — قيد ونير سرمدى

* * *

ـ : ومن يكون ؟
ـ : إنه من وطنى من بلدى
قد ولدته فى المنستير — بأرض السؤدد
فاطمة أكرم به — فى حجرها من ولد
ـ : إذن يكون بشرا
ـ : فيه سجايا الأسد

* * *

ـ : أماه ما نسبته — من قومنا المجد
هل هو عملاق — وروح ملهم فى جسد
يلامس الشمس — ويلهو بالسها بالفرقد
يرمى بها كواكبا — إلى الفضاء باليد
ـ : أماه
هل تدركه عينى
وهل نبصره
ـ : هيا الى المينا بنا
الى الرحاب الزاخرة
به نبيت ريثما
غدا تحل الباخرة

عبد المجيد بنجدو

الذوق والكمال الفني

بقلم : البشير المجذوب

الذوق ... تلك الحاسة الدقيقة اللطيفة التي تخدعنا بوحدة المظهر وبساطته وسرعة الحركة وخفتها كأنها ، الابرة المصمتة الملساء ، وهي في الحقيقة من أشد ملكاتنا تعقيدا وغموضا ، تجمعا وتركيزا .

ولا عجب فالذوق مزاج ملكاتنا كلها وخلاصة خواصنا جميعا متحدة متضافرة كأحسن ما يكون التعاون والاتحاد .

إنه عصارة كيان الاديب في عفو أحواله وذروة إدراكه وحساسيته وقد تجمع وتماسك ودق ورق واتسع وانفتح وأضحى كلا موحدا أو وحدة متعددة ، قابلا للتحول والتطور والتلون والتشكل إلى غير غاية ، طواعية ومرونة ، من غير أن يفقد شيئا من جوهره وأصالته وطلاقته واستقلاله .

يزدوج « بالأثر » بل يتحد به ولا يذوب ، ويغيب في تضاعيفه ولا يضل ، غوصا تارة وتحليقا ، لا يسأم ولا يكل كأنه الجن خفة وذكاء ، **براعة واقتدارا** ولا كذب ولا زيف ولا سحر ولا تمويه .

فيه من الشعور نفحة ومن الخيال فسحة ومن العقل قبس ينتظم الجماعة ويرأسها ويشرف عليها في حزم ومرونة ودقة وسماحة حتى لكأنها الجوقة لكل من أفرادها حريته وشخصيته ولونه وطابعه وتلتقي الألوان جميعا وتتمازج وتنصب في مجرى واحد هندسة وانسجاما .

فللشعور أن يذوب لينا ورقة أو يفور ويجيش دفقا وللخيال أن يجمح وينطلق ويغرب ويشذ حتى يجن جنونا . ليكن ذلك ، إلا أن للعقل عينا لا تنام فهو لا يفتأ يراقب ويحاسب كل خطوة كل حركة ، يضبط لكل مجاله ويرسم له حظه وحده ، لا تزكية ولا تطفيف ، لا حيف ولا محاباة ، فلكل موضع ومقدار ، ولا اعتبار عنده إلا لمقتضى الحال .

ولا يسلم من هذه الرقابة ولا يفلت من زمام هذه الرئاسة العقل نفسه فله من ذاته شاهد ورقيب حسيب إذ هو شديد التهمة لنفسه (1) على قدر ما له من ثقة بها واعتداد .

ما من رأى يراه إلا ويتعقبه حالا . يسلط الحكم ويراجعه في آن معا . ولا يبرمه ويبت فيه حتى يبين صوابه بداهة ويقينا . لا يني — وهو في أوج بحثه وتفحصه للموضوع — متلفتا إلى عمله مترصدا له ينقد نفسه بنفسه متشككا فيها محاجا إياها فهو هو الحكم والخصم جميعا . كمثل القائد الطموح

« يطلب عند الناس ما عند نفسه » ولا أثرة ولا امتياز إلا ما يخوله حق القيادة وتحتمه ضرورة المصلحة ٠

ذلك لأن الذوق ليس مجرد تذوق واستطعام ، أو تلمظا وتمطقا هنيئا مريئا ، أو شفاء لشهوة واستلذاذا كيفما تكن الحال وبأى طريق ٠

كلا ! وإنما هو اليقين الناصع بجودة (أو رداءة) ما تذوقت ، وأن له حقا القيمة التى عينت ورسمت٠وقد وضعته فى محله الذى له لم توفه ولم تبخسه ، وهو لا محالة خليق باعجابك وإكبارك أو ازدرائك واستكراهك ٠

الذوق كل ذلك ٠ فهو إذن عملية مزدوجة مضاعفة ٠ إنه استمتاع مقيد مضبوط ولذة (أو نفرة) واعية بصيرة ٠

وليس أضر بالحكم الأدبى ــ فى هذا الباب ــ من الاقبال على الأثر فى شراهة المنهوم يتعجل الزاد يتلقفه ليطفىء حر معدته كظة وامتلاء ويذهل عما سوى ذلك ٠

فلا ذوق ولا بصيرة ولا متعة رفيعة إلا مع التحكم فى الحس والغريزة والتجرد شيئا من الذات والسمو عنها وحملها على الرصانة والاعتدال بأن يضرب بينها وبين شهوتها مهلة ومسافة ٠

إن عشق الفن ليس كسائر العشق ، يتنازل له المرء عن بعض أو كل عقله واختياره لا يجد إلا فى ذلك مسرته وسعادته ٠

إنه صداقة نبيلة صافية قد كبح جماح عواطفها العقل وألقى عليها الفكر من إشراقه وتساميه ٠ فللفن ضمير صارم لدود يقتضيك حتما ــ وإنها لقضية جوهرية عنده وضرورة حيوية ــ أن تنظر إلى الأثر الصديق **بعين السخط** التى تبدى المساوىء لا بعين المجاملة والسماحة الكليلة عن العيب ٠

لا فن إلا بمساعفة البصيرة النافذة والذهن الناقد والكفر بالقناعة والكفاف ٠ الفن توق مطرد إلى تجاوز الحال وتحرق دائم إلى مطلق الكمال ٠

على ان صرامة الذوق الأدبى درجات شتى تختلف وتتفاوت حدة تبعا للموضوع ولطبيعة الأديب واختصاصه ٠

فان الخلق الأدبى ــ ولا سيما الشعر ــ يتطلب لزاما فى خطواته الاولى ــ أعنى لحظات الوحى ــ شيئا من الحرية وإطلاق العنان للقريحة وإرسال النفس على سجيتها بحيث تكون حالة الفنان ساعة الالهام أشبه بالاستسلام الواعى وكأنها حلم من أحلام اليقظة ؛ وحتى ليصح القول إن الأثر الفنى يصنع ــ **إلى حد ما** ــ نفسه بنفسه حسب ناموس يستنه بمشيئته وهواه ، فرضا وإثباتا لوجوده٠ تمردا ورفضا لكل تخطيط يكون بمثابة القيد والسجن له ٠

إنها حرية الخلق وعبثه وعفويته تكبت وتشل وتجهض إذا لم يرخ الذهن الناقد من طوله و « ثنياه باليد » ولم يكفكف من غرب صلابته ولم يبد شيئا من المرونة والسماحة الى حين ٠

إنها رخصة وقتية وفسحة محدودة يتدارك الذوق بعدها أمره ويسلط جبروته وسلطانه ·

وإذا نظرنا إلى الذوق الأدبي من حيث أصله وطبيعة نشأته فهو يبدو لنا مركبا التحمت أجزاؤه واتحدت حتى لا يكاد يفصل بينها : حب الجمال واحترام القارىء واحترام الذات ، لا فن إلا بالتوفيق بينها وإرضائها جميعا إرضاء العدل والانسجام ·

إنه من الخطا والغرور أن نتصور الذوق مقياسا فرديا بحتا بالغ التجريد قوامه مجرد التوق إلى الكمال الفني ، دليلا مطلقا أو حاكما مستبدا يستمد سلطته ونفوذه من محض الذات من غير استناد إلى البيئة ولا اعتبار للقراء ·

إن ما نسميه ذوق الكاتب والفنان لهو – إلى حد ما – **عين القارىء** ·· (2) عين نخبة ممتازة من قراء مثاليين (3) هم قدوة للكاتب أو أنداد له من حيث القدرة على خلق القيم الفنية أو على فهمها وتقديرها ، يسعى الكاتب جهده ، بدافع حبه للفن وبعد همته وطموحه ، إلى إرضائهم أو منافستهم والتفوق عليهم ·

وتتسع هذه الجماعة من « الرقباء » فتشمل طبقة اخرى يرى الكاتب فيها ما يؤهلها للحاق به ومسايرته فيروم رفعها إليه وتنويرها ، فيحسب لها حسابا بأن يسعى إلى شيء من التقريب والتيسير ويخاطب القراء بما يفهمون من غير أن يدخل الضيم على فنه (4) ·

والمبدأ الذى يعتمد لا محالة فى كل أدب رفيع متفتح هو « إفهام العامة وإرضاء الخاصة » · فالكاتب الحق رائد وإلا فليس بكاتب – شأنه كشأن الطبيب الحاذق – وهو لذلك أدرى من العامة بما هو أصلح لها وأفضل · فلا ينبغى إذن أن يتملق أهواءها وينزل عند شهواتها الوقتية وصبواتها العارضة ·

هذه « العين » الوهمية المثلى تبرز للكاتب نواحى خفية محجبة عنه من أدبه إذ تمكنه من التجرد والنظر إلى أثره بعين الغير فيراه (أو يكاد أن يراه) على حقيقته كما لو كان من صنع غيره ·

ذلك ان « الموضوعية » فى الأدب إن هى إلا اتفاق نخبة صالحة من « الذاتيات » وإجماعها على قيمة أثر ما · وهذا حتما لا يتم إلا بالتجاوب والحوار ·

هذه «العين » هى بعض من الضمير الأدبى الحى الذى يستشيره الكاتب ويحتكم إليه ، ومن السلطة العليا التى يشعر إزاءها بالتبعة والمسؤولية ·

وما هذا الضمير وهذه السلطة إلا المثل الأعلى الذى وقف الفنان حياته ومنتهى قواه لاستجلائه وتصويره والدنو منه وتحقيقه أكثر فأكثر كل يوم ·

البشير المجدوب

(1) هذا مظهر من مظاهر الازدواج فى الذوق وهو النقد الذاتى • هناك مظهر آخر قد لمحت إليه - آنفا - مجرد تلميح يتمثل فى كيفية تناوله للأثر الأدبى ومحاولة إدراكه واستيعابه •

فالذوق حس مركب ، تحليلى تأليفى يقوم بالعملين معا • ينظر فى الموضوع جملة وتفصيلا لا تذهله الأجزاء عن الوحدة الكلية ولا هذه عن تلك • بينا هو يتأمل ناحية ما ، قد خصها بعنايته وتركيزه إذا هو يلقى ببصره إلى المجموع وهكذا حصرا وشمولا فى حركة لا تستقر هى عين التناقض : أن يكون قريبا أقرب ما يكون من الأثر ضما واعتناقا ، امتزاجا واتحادا (identification) متأملا دقائقه فى لذة فاحصة ويظل مع ذلك وفى الآن نفسه على مسافة منه لا يمكنه من نفسه استسلاما وانقيادا فيعرقل تصرفه واختياره •

وأشد ما تكون هذه العملية المضاعفة عسرا وامتناعا عند تذوق الموسيقى لما يتطلب هذا الفن من دقة الحساسية ومن فطنة ولباقة يعجز بدونها المستمع عن اللحاق بسيل الأنغام واستيعابه والنفاذ إلى كنهه وصميمه •

وبغير هذه الحركة « الجدلية » والتردد « الآنى » بين الجزء والكل ، بغير هذه السرعة الفائقة والمرونة العجيبة التى هى من أبرز خصائص الذهن البشرى وامتيازه ، لا أمل فى الظفر بحقيقة ما نقرأ أو نستمع ، وإدراك سر قيمته ونكهته •

(2) لأبى حيان التوحيدى كلام قريب من هذا المعنى (الامتاع والمؤانسة ج1) • قال : « وليس شىء أنفع للمنشىء من **سوء الظن بنفسه** ، **والرجوع الى غيره** وإن كان دونه فى الدرجة • وليس فى الدنيا محسوب إلا وهو محتاج إلى تثقيف ، والمستعين أحزم من المستبد ، ومن تفرد لم يكمل ، ومن شاور لم ينقص ••• »

على أننا لا نجد بين القدامى مثل الجاحظ إبرازا لأهمية النقد الذاتى فى الأدب ودور الجمهور الكفء الواعى فى إحسان الكاتب وإبداعه • جاء فى مقدمة كتاب الحيوان : « **وينبغى لمن كتب كتابا أن لا يكتبه إلا على أن الناس كلهم له أعداء ، وكلهم عالم بالأمور ، وكلهم متفرغ له** • ثم لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه غفلا ، ولا يرضى بالرأى الفطير ••• » إلى آخر هذا النص وهو من أجود ما يقرأ فى هذا الباب •

(3) قراء « مثاليون » أحياء أو أموات • أما الأحياء فقراء « بالقوة » على وجه الاحتمال • وأما الأموات فقراء « موهومون » • إن صفوة الكتاب المفضلين عند كاتب ما هم « قراء » له موهومون يرجع إليهم و « يستفتيهم » من

حيث يشعر أو لا يشعر فى ضرب من المناجاة والحوار « الباطنى » حدسا وتخمينا ، تصورا وافتراضا ، ويقيس نفسه إليهم ويقيم وزنا لفنهم وذوقهم . نسوق مثلا لذلك إكبار أبى حيان التوحيدى للجاحظ وتقديره البالغ لأدبه وتأثره به ، وشبيه بهذا موقف فاليرى Valéry من ملارمى Mallarmé . ولعل أروع مثال صلة أفلاطون بسقراط تلك الصلة الروحية الوثيقة التى لولاها لما خلدت شخصية سقراط ولضاعت فلسفته .

(4) تعرض الجاحظ فى « الحيوان » لموضوع عناية الكاتب بالقراء واحتفاله بهم حرصا على البيان والافهام قال : « وليس الكتاب إلى شىء أحوج منه إلى إفهام معانيه حتى لا يحتاج السامع لما فيه من الروية ، ويحتاج من اللفظ إلى مقدار يرتفع به عن ألفاظ السفلة والحشو ويحطه عن غريب الاعراب ووحشى الكلام .

وليس له أن يهذبه جدا وينقحه ويصفيه ويروقه حتى لا ينطق إلا بلب اللب ، وباللفظ الذى قد حذف فضوله وأسقط زوائده حتى عاد خالصا لا شوب فيه . فانه إن فعل ذلك لم يفهم عنه إلا بأن يجدد لهم إفهاما مرارا وتكرارا . لأن الناس كلهم قد تعودوا المبسوط من الكلام . وصارت أفهامهم لا تزيد على عاداتهم .

صدى المقبرة

شعر : احمد المختار الوزير

هينمة أسمعها ،   وغمغمات مبهمه
صوت أبح ، غيبته   دون عيني ، العتمه
وحجبت ، عن ناظري ،   هذى القبور مقدمه
من مستغيث • من ترى ،   يشقى ، يقاسي المه
من لى ، وللمصباح ،   بالأنوار ، حتى أعلمه
حتى أذود بعض ما   يرهقه ، وأرحمه

* * *

هذا الصدى يقودني ،   فلأتبين مجثمه
سرت ، وكم من رمة ،   من دونه ، وجمجمه
ومن عواء صرصر ،   لبومة مدمدمه
سرت ، وما كنت ، الى   مض الشقا ، لأسلمه

* * *

أبصرته حيا ، طريحا ،   جثة ، محطمه
تستره الأكفان ، الا   وجهه ، ملتثمه
وكفه ، على الثرى ،   يبسطها ، ومعصمه
وحوله ، من قبره ،   أنقاض ماقد هدمه
وود لو تدركني ،   نظرته المستفهمه
هيهات • فالجهد الجهيد   ردها منهزمه

* * *

واختلجت شفاهه　　　بجملة مزدحمه
« الى ، هل من جرعة ،　　　لغلة مضطرمه »
« وهل حياة حية ،　　　تعيد رجع الكلمه »

* * *

ومد كفا رعشت ،　　　ثم هوت مستسلمه
وقبضت ، من التراب ،　　　حفنة منضممه
وجمدت كأنما　　　تريد أن لا تعدمه
وساد صمت خاشع ،　　　من لحظات مظلمه
أغضى ٠ فقلت : نم　　　قريرا ، لن تموت الكلمه

أحمد المختار الوزير

67/4/5

خواطر حول عقلانية ابن رشد الدينية

بقلم : عبد المجيد الغنوشي

ليس ثمة فيلسوف عربى نوقش تفكيره الدينى واثار النزاع أكثر من تفكير ابن رشد (1198 ـ 1126) . فان لم يحظ هذا الفيلسوف بين أهل ملته بالمكانة التى تليق به وان اضطهد من طرفهم ورمى بالكفر والزيغ فهو لم يكن أسعد حظا عند (المدرسية) . فابن رشد فى أعين Gilles de Rome (1316 ـ 1243) قد حقد على اليهودية والمسيحية والاسلام وهو أول من اعتبر الديانات ترها وأباطيل رغم اعترافه بصلاحيتها ونجاعة مفعولها ، أما Gérard de Sienne تلميذ Gilles de Rome فقد سار على منوال استاذه فى نقمته على فيلسوف قرطبة وظل حتى النصف الاول من القرن الرابع عشر يبدى تجاه فلاسفة العرب نفس الهجومات التى شنتها المدرسة الاغسطنية ، ثم أتى Raymond Lulle (1315 ـ 1233) وبذل ما فى وسعه للتنديد بالرشدية وبابن رشد الذى كان حسب زعمه قد أبطل نظرية خلق العالم وما اعترف بالعناية الالآهية وبالوحى وما آمن بخلود النفس بل كان ينادى بمذهب التلذذ ويحث على طلب الشهوات ومسايرة الهوى ، ومما اسعر نقمة Raymond Lulle وزادها حدة ظنه أن « نظرية الحقيقتين » نظرية رشدية قال بها ابن رشد وأقام عليها صرح فلسفته الدينية .

"Raymundus errorem illum tolerare non poterat quo Averroistae dicunt multa esse vera secundum fidem, quae tamen falsa sunt secundum phi-osophiam" (1)

لقد كنا نظن ان هاته التهم الموجهة ضد ابن رشد ستضمحل وان سوء الفهم الذى نفذ الى الرشدية وحل بها سيمحى مع الزمن ليترك المجال لتفهم عادل نهائى لتفكير الشارح الدينى ولكن هيهات فالحالة بقيت على ما كانت عليه ومنذ القرن الثالث عشر الى يومنا هذا اعتبر ابن رشد عدو الدين او على الاقل متحررا منه ، لقد قدم E. Renan عام 1856 أطروحته الشهيرة (ابن رشد والرشدية وذكر من جملة ادعاءاته ان ابن رشد تفلسف بكل تحرر ولم يقصد مصادمة الشريعة ولا حاول اجتناب هذا الاصطدام) وفى سنة 1889 أعاد المستشرق Mehren النظر فى المسألة ثم تبحر فيها Asin Palacios فأفضت أبحاثهما الى استنتجات فى غاية التضاد وان اتفق المستشرقان على

(1) الترجمة : ما كان (لريمون لول) ان يغض الطرف عن ضلال كان الرشديون فيه يعمهون ويتركهم يقولون بوجود عدة أشياء صادقة حسب الايمان ، كاذبة حسب الفلسفة .

اعتبار ابن رشد متكلما لم يضمر للدين أى عداء ، فخمدت المشكلة حينا الى أن أثارها من جديد Léon Gauthier سنة 1909 فى أطروحته المسماة (نظرية ابن رشد فى التوفيق بين الدين والفلسفة) حيث صرح بأن (فصل المقال) يحتوى على نظرية (عقلانية) خالصة فعارضه فى ذلك المستشرق الالمانى Horten سنة 1913 وقال ان ابن رشد فيلسوف متدين حتى التزمت ومناضل عن الشريعة الاسلامية يؤمن بالدين ايمانا أقوى من ايمانه بالعقل ، فتفرغ الأب Anuel Alonso للمشكل واعاد فيه النظر وأظهر سنة 1947 كتابه المسمى Teologia de Averoès وأعلن فيه أنه ليس فى نظرية ابن رشد المتعلقة بالدين أثر للعقلانية وانه ليس فى مقدور (فصل المقال) ان ينسينا كتاب الكشف عن مناهج الادلة (ويحطم ما جاء فيه من تدين ابن رشد وتزمته فى ذوده عن الشريعة .

لقد تبين لنا من خلال هذه اللمحة التاريخية الموجزة ان كل هاته الاطروحات والنظريات التى قدمت حول ابن رشد والرشدية متطرفة متناقضة ان لم تكن غالبا مخطئة والسبب فى ذلك يرجع الى حد بعيد الى التراجم اللاتينية التى نقلت اليها مؤلفات ابن رشد فى العصور الوسطى والتى حرف جلها من جراء تأويل وتفاسير مدرسة Padoue التى كانت حصن الرشدية فى شرقى ايطاليا الشمالية فالنظريات المنسوبة الى ابن رشد كوحدة العقل وأزلية العالم وفناء النفس مع الجسد وازدواج الحقيقة لم تكن الا نتيجة عرض مقتضب مشوه للتفكير الرشدى ودراسته دراسة جزئية سطحية ، ثم ان مفهوم العقلانية الذى نعت به بعض المؤلفين مذهب ابن رشد ملتبس اذانه يقال باشتراك الاسم تارة فى نظرية تقوم داخل الايمان لتبرهن على العقائد الدينية معتمدة فى ذلك على العقل وطورا فى نظرية تبطل بادىء بدء وبصفة (قبلية) a priori كل دين لتدعم وتشيد فيما بعد صرح حقائق عقلانية . فهل عمد ابن رشد فى فصل المقال والكشف عن مناهج الادلة الى ابطال الشريعة الاسلامية ليضع محلها دينا شبيها بدين فلاسفة فرنسا فى القرن الثامن عشر ؟ هذا قول فى غاية السقوط لان عنوان الكتاب نفسه « الكشف على مناهج الادلة فى عقائد الملة » ينافى هذا المعنى . هل ترك العقل جانبا واقتصر على السماع وعلى الايمان الاعمى الذى ناصرته الحشوية ؟ ليس هذا بصحيح فما عليك الا أن ترجع الى كتابه وتنظر فى باب البرهنة على وجود الله والقضاء والقدر والعدل والجور... لتتبين أن فيلسوفنا ينادى باعمال العقل فى كل المسائل الدينية ويندد بالايمان الضيق الذى يخالف مقصد الشارع ويضاده .

فهل هذى ابن رشد بعقله ووجدانه كالصوفية فى شرحه أصول العقيدة وبرهنته على العقائد ؟ أبدا فكم من مرة لفت نظرنا الى طريقتهم والى غلوها وزيغها عن المناهج القويمة . فهل حبذ طرق الاشعرية الملتوية المتشعبة التى هى حسب زعمهم طرق منطقية مبنية على أقيسة وبراهين ؟ كلا ان ابن رشد

قد وجدها فى الغالب سفسطائية ولا تفضى البتة الى اليقين بل هى حسب فيلسوفنا مضادة للادلة الشرعية ٠ فما هو ابن رشد اذن وما هى حقيقة ذلك الفيلسوف الجليل الذى نهشه الدارسون ورماه بالتزمت والرجعية المتفلسفون واحتضنته « البراجماتية » لسوء فهمها لتفكيره الدينى ٠

ان ابن رشد قبل كل شىء فيلسوف مسلم عاش فى بيئة اسلامية وانتسب الى أسرة علم ودين وكان أبوه وأجداده قضاة وباشر هو نفسه القضاء ٠ فمنذ حداثة سنه تلقى تعليما دينيا قويما ونشأ على مذهب مالك ابن أنس وكلنا يعرف ما لهذا المذهب من شدة وصلابة ثم تعلم علم الكلام وحذق الاشعرية ٠ فتأصلت شخصيته القاعدية ونمت وتغذت من عادات ونفسية وأخلاق اختصت بها المدنية الاسلامية فى زمانه ثم انضمت الى تلك الشخصية الفتية الثقافة اليونانية بوجهتيها العلمية والفلسفية فماذا سيكون اذ ذاك موقف ابن رشد من تلك الوضعية وامام ثقافتيه الاسلامية والاغريقية فهل سيتخلى عن ثقافته الاصلية ليعتنق ثقافة اليونان العجيبة ورائدها أرسطو طليس الذى كان فيلسوفنا شديد الاعجاب به والتقدير له أم سيحافظ على ثقافته الاسلامية ويشحنها بعناصر دخيلة على الفكر العربى ؟ ان هاته الازدواجية المحرجة التى واجهها ابن رشد هى بعينها التى يعانيها الكثير منا اعنى المثقفين المغاربة اذ أرجلنا قائمة فوق تراب افريقيا وهامتنا سابحة فى أجواء الغرب ٠ فلا بد اذن لابن رشد من حذق وافر ليوفق بين ثقافتيه اللتين تخالهما متناقضتين متنافرتين أول وهلة ولا بد له من أن يؤلف بينهما تأليفا عقلانيا **وأن يتجاوز ذاته مع المحافظة عليها** فذلك هو بالحقيقة ابن رشد من جميع نواحيه بل قل تلك هى أصالته بتمامها ٠

ان عقلانية ابن رشد ليس معناها ابطال الحقائق الدينية باسم العقل ولا تشويه الشريعة والحط من قيمة ما جاء فيها من أبينة وتعاليم بل محاولة تعزيز وتوطيد سلطانها بقوة البراهين اليقينية وعزم على دحض التأويلات المبتدعة التى أدخلها المتكلمون على أهم عقائد الملة الاسلامية ٠ فان عمد ابن رشد فى مهمته هاته الى الادلة والحجج العقلانية فليس قصده البلوغ من خلالها الى مزيد من التيقن يطمئن به فؤاده بل ليبين جليا **وحدة الحق** وليقرر بقول فصل أن الحكمة لا تخالف الشريعة لانهما تعبران عن حقيقة واحدة فى ذاتها ومقاصدها وان بدت فى صور وأشكال مختلفة ٠

عبد المجيد الغنوشى

أمنيتي . .

شعر : محسن بن حميدة

أمنيتي تجتاز قمة الجبال
وموطن السحاب والشموس
أمنيتي تناطح النجوم
وتركب السماء والأثير
لأنها من رعشة النفوس
وهداة الضمير
لأنها لا تعرف الحساب والظنون
لأنها من طينة البشر
لأن الحرف فوق دربها سؤال

* * *

أمنيتي من خلف أعصر الدهور
تصيح بي تصيح بي « تعال »
أمنيتي من عالم الخيال
أمنيتي من نفحة الخلود
تصيح بي من أقدم العصور
تصيح بي لاهثة « تعال »

* * *

فاعبر البحار
وأصعد التلال والجبال
وأعتلي السحاب
وأسبر الشموس
وأمزج الزهور بالنجوم
وأسرق الأثير
فيمحي المحال
ويستوى الخلود

محسن بن حميدة

امـرأة مـن الريـف

قصة بقلم : سالم دمدوم

قالت حياة ـ وهذا اسمها المستعار ـ :

لا أذكر من عهد طفولتي وأيام شبابي الأولى التي قضيتها في الريف الا فجر يوم لن أنساه !٠٠ وما اكثر الجروح التي لا يبلسمهـا النسيـان في حيـاة الناس ، وما اكثر الايام التي لا تنسى ٠٠٠ كان يوما أسـود أليمـا ذهبت الحرب فيه بحمارتنا ووالدي سعيد بانفجار لغم فجمعنـا ما عثـرنا عليه من اشلائه وعظامه ووضعناه في قبر أقمنا حوله مناحة نادبة ٠٠٠ آه متى يعلم قادة الحروب ان أغلب ضحاياهم ابرياء لا هم لهم في الحرب والقتال ؟!

كان ذلك في ربيع 1941 وكنت اذ ذاك شابة جميلة حساسة ثائرة الافكار والمشاعر ٠٠ وكنت أحب والدي الطيب حتى العبادة ولفرط حساسيتي ابكي للمقهورين في حكايات والدتي حول الموقد في كوخنا ايام الشتاء ولياليه ٠٠ وتستطيع أية حادثة مؤسفة ان تجعلني اذرف الدموع طوال الليل وما اسرع ما يبكي الفقراء والبائسون ٠٠٠ فكيف تتصور مصيبة فقد والدي العـزيـز بعد هذا ؟٠٠

ونظرت إلى محدثتي كأنها تحاول ان ترى وقع هذه الكارثة على نفسي ٠٠ او لعلها تريد ان أهتز لبلواها وما احوج الناس إلى العطف والموازرة حتى في غير اوان !٠٠ فتطلعت اليها في صمت ٠٠٠ تطلعت إلى ذلك الوجه البيضوي الذي رسم عليه كر الايام خطوطا وتجاعيد لم تسلم منها حتى الوجنتين غير ان بقية ملاحة ما زالت تغالب السنين : انف اقنى أشم وفـم صغير وذقـن مستدير ظريف وشعر مغدودن فاحم فعرفت ان محدثتي كانت ذات جمـال بارع أخاذ ٠ وقلت في سري : كم تسخر الحياة من أنـاس فتعطيهـم اشيـاء يظنونها سبب سعادة فتنقلب سبب شقاء مرير ٠٠٠ ولم استطع اخفاء آهـة حرى تجاوبت اصداؤها لدى محدثتي ولا تسخر مني يا صـديقي فانا أحس بعطف عميق ورثاء مر لكل بنات الهوى ٠٠٠ يسمونهن (صابرات) وانهن ٠٠ ولكن بمفهوم آخر !٠٠ ويا لهن من صابرات يضحكـن وفي القلـوب مآتـم ويقهقهن وفي الاعماق جعجعة ونـواح ٠٠٠ وان شـدون غناء فما شـدوهن الا حسرة على ماض ولى إلى غير رجعة وعمر ضاع بين اوهام ٠٠٠

ونظرت إلي كأنما تستأذنني ٠٠ مواصلة الحديث فقلت :
وبعـد ؟

قالت : مات الوالد وفقدنا سندا فى الحياة اخيرا فقاومت أمى الايام عاما وبعض العام عرفنا خلاله شظف العيش وذل الاهانة ومرارة الدموع ··· كانت أمى تشتغل عند الجيران وكنت اساعدها على ذلك حينا وابقى بالكوخ فى اغلب الاحيان ومرت الايام بطيئة وكثرت زيارات ابن جارنا مبروك لنا ورحت أخمن لذلك سببا ··· ماذا يريد ؟!· لا تضحك منى يا سيدى فقد تصورت انه انما يريد ان يطلب يدى ··· والمراهقات ينسين كل مصائبهن وكروبهن ازاء الامل المنشود ··· وتكذب الانثى اذا قالت لك انها تستطيع تجاهل نداء الانوثة فيها ··· مهما يكن من امر فقد سولت لى نفسى ان ذلك هو مطلب ابن الجيران · فسرحت وراء هذا الحلم وبمرور الايام اصبحت أحبه والله شاهد وكنت اذهب مع خيالى فأجدنى زوجة له آمر وانهى وانجب الاطفال وانعم بالعيش الرغيد ·· فما كنت أبخل عليه بابتسامات وحديث بل صرت أهديه بعض الازهار البرية احيانا واشرف على غسل ادباشه بنفسى·· وذات ليلة ···

ـ وتطلعت إلى كأنها لا تريد ان تبوح بسر ، فتساءلت صامتا : أتراها تخجل ؟!·· فقالت ـ وكأنها قرأت ما فى ذهنى ـ : قد تستغرب منى احجامى عن ذكر مغامرات هواى الاول ـ وكيف لا يستغرب الحياء من بنت هوى باعت الفضيلة والشرف ـ أغلب الناس لا يأتى إلى اذهانهم اننا نساء كالاخريات فينا حياء ولنا ضمائر ولكن تصاريف الزمان هى التى جعلتنا نمثل ادوار من لا انسانية لهن !·· ذات ليلة خرجت اليه ··· كان القمر وديعا باسما وكان الربيع يلفظ آخر انفاسه فهى حرى والصيف يقول بالنسمات اللافحة اين طريقى الى الربوع ؟·· وتجاذبنا الحديث وتطارحنا الغرام وعرضت عليه الزواج بى ـ تصور هذا · ـ انثى تبيع الكبرياء والانفة وتعرض نفسها جهارا ـ فماطلنى بالقبلات ثم هجم على فتفلت من تحته وابيت عليه ولما خاب ظنه صفعنى صفعة قوية على وجهى وقال : « اتزوجك ؟! أتزوج « سارحة » مثلك » وكانت هذه الكلمة أقسى بكثير على قلبى من الصفعة التى تلقيتها ورجعت إلى الكوخ اندب الحظ العاثر وابكى حتى كادت امعائى تتمزق من العبرات وطلبت من الله فى تلك الليلة ان يمد فى عمر أخى محمود حتى يرجع من العسكر وينتقم لى من هذا الحيوان ·· وكفرت بالدنيا والفقر حتى كدت أجن · الفقر يا سيدى هو السلم الذى تتسلقه الذئاب لتعبث بالفضيلة والشرف وتخرق القانون ·· ولو كنا اغنياء لأفتدينا أخى من « القرعة » كما افتدى ابن جارنا الجبان ، ولكن لا مال لنا ولا جاه ···

وتوالت الايام ونسيت كل شىء إلا اهانتى ، كنت كل ليلة اخرج من الكوخ وابث الليل أوصابى وادعو لأخى بالعودة القريبة ليثأر لى من مبروك الذى انقلب حبى له إلى كره شديد ··· وذات يوم عرج الشيخ على كوخنا فنعى لنا أخى وقد مات فى خطوط النار ···

وهنا هزت قلبى الكارثة هزا فنظرت إلى محدثتى وما أعلم على أية هيئة كنت ؟!٠٠ فرأيت اليد النحيلة تتسلل إلى دمعتين انسكبتا عبر الخدين تجففهما ثم ابتعلت ريقها وحاولت ان تبتلع معه زفرة غلبتها صاعدت من قلبها كالنواح ، فأسلمت رأسها إلى يديها حينا ثم امالته يمينا وشمالا كأنها تنفى خواطر وذكريات أليمة ٠٠٠ ثم قالت : ومن يومها ضاعت كل الامال وعرفت ان الحياة ما زالت تسخر منى ، ولم يبق لى فيها سوى تلك الأم الغسالة « التكازة » فكاشفتها بما بيته لى ابن الجيران فتوعدتنى وضربتنى ، فنمت على دموعى شطرا من الليل حتى ايقظتنى وضمتنى إلى صدرها فى بكاء اخرس يذيب القلب ويمزق الاعصاب ٠٠ ثم قامت فاشعلت سراجنا الزيتى وقدمت لى طعاما فأخذت آكل فى صمت ٠٠ بينما كانت أمى بجانبى تنبش الارض بطرف قضيب صغير كان بيدها وترسم خطوطا ثم تعود فتفسخها ثم ترسمها من جديد كانها تصور ما يتزاحم فى ذهنها من افكار متعارضة لا انسجام بينها ، وما كان يخدش الصمت الحزين الذى يلف الكوخ غير آهات تبعثها أمى من حين إلى حين ، وما كان يشاركنا آلامنا غير فراشة سرها النور فتسللت لتعبث حول سراج زيتى تعبث بذبالته ريح لينة خفيفة وتنبعث منه رائحة الزيت المحروق ٠٠٠

وفى الصباح الباكر جمعنا بعض متاعنا وودعنا الريف فى ألم صامت وحزن مكظوم فضحته منى عبرات غزار ومن والدتى تمتمات ودعوات سرعان ما اختلطت بالعبرات فاذا هى شهيق مكتوم ٠٠٠ وسرت مع أمى يلفنا صمت وسكينة ويمزق احشاءنا هم أليم وكنت ألتفت بين الحين والحين فأجفف عينى من الدمع لألقى نظرة أخيرة على ملاعب الصبا ومدارج الطفولة ولأودع وربما إلى الابد كل مكان لى فيه ذكرى الوداع الاخير ٠٠٠

وصلنا القرية فباعت أمى قرطها ، وركبنا القطار إلى العاصمة نطلب الخبز الحلال ونبعد عن مسرح الذكريات الأليمة وصدقنى انى لو خيرت لما اخترت غير البقاء هناك بكوخنا الحقير فى ريفنا الوادع الذى بدا يتوارى شيئا فشيئا من مخيلتى بعد ذلك ٠٠٠

وصلنا العاصمة وبدأت اشتغل فى البيوت انظفها لأصحابها او أساعد السيدات على الغسل حتى قادتنى الصدف إلى يهودى انظف له منزله ازاء اجر حسبته آنذاك سخيا ٠ فكان يتمسح بى كالقط المرائى ، وما كان يخجل من ممارسة الغزل المفضوح معى مطريا جمالى وسواد عيونى وشعرى فاسمع منه هذا الكلام واسكت على مضض ثم الفته منه فما عدت أتأثر به ولا أقيم له وزنا ٠٠٠ وكان كثيرا ما يدعونى إلى طعامه فأتظاهر بالشبع وأنا الجوعانة البائسة !٠٠ حتى كان يوم سوف تبقى ذكراه محفورة على شغاف القلب إلى أن تبرد عظامى فى ثراها ٠ شدنى فيه إلى طعامه هو وصديق له بالحيلة

والخديعة • فأكلت معهما ثم شربت شرابا أحمر مر المذاق أجبراني على كأسين منه فقدت اثرهما وعيى فنمت حتى المساء وافقت على ألم يمزقنى وعرفت انى بعد ان فقدت شعورى فقدت كذلك عفافى ••• وتناولت منديلها لتمسح دموعا غزارا فى شبه نشيج ، فقلت غير واع لما أقول : يهودى !•• يهودى قذر •؟! وصدقنى انى فى هذه الاثناء شعرت كما لو كانت هذه السيدة أختى أو ابنتى ••• شعرت بطعنة عميقة فى كيانى اين منها اين منها طعنات المدى والسكاكين ••• شعرت بأنى متضامن تضامنا عميقا مع هذه المسكينة إلى حد انى احسست بان كرامتى قد ديست هى الاخرى ••• ربما لأنها كانت قروية وبطبعى أحب القرويين او لأنها كانت ضعيفة عاجزة وكان الجانى يهوديا وأنا أكره اليهود كرهى لنذير السوء فى اليوم السعيد لأنى فى فجر طفولتى الاولى كنت اسمع ابناء الهيود فى قريتى يغنون : « الانقليز غلب والألمان هرب ونعملوا برادع ونركبوا على العرب » كل هذه الذكريات الهاجدة والآلام الدفينة ثارت الآن على اشدها اذكتها عبرات هذه الفريسة البريئة ••• فقلت : وماذا فعلت ؟•• هل قدمته للمحكمة ؟•• فتنهدت ثم قالت : هو الذى قدمنى !• اتهمنى بالسرقة فاشبعنى البوليس ضربا وبت ليلة فى المركز فقدت فيها هذه المرة حيائى ، ومثلت فيها أول دور فى حياتى الجديدة حيث كان على ان اضاجع اربعة صعاليك طوال الليل وانا عارية أغص بالعبرات ولا أطيل عليك ايها السيد • فمنذ ذلك اليوم ساءت احوالى وماتت أمى وتداولت على الاحياء والازقة حتى كان آخر المطاف كما ترى بيت فى زقاق ••• منبوذة من رحمة الله والعباد ولو أتيح لى ان اتمنى شيئا فانى اطوى عليه الضلوع وادخله إلى قلب هجره العطف والحنان فهو خراب ••!

سالم دمدوم

فقـرات مـن دفتـري ..

بقلم : محمـد مصمـولي

يتناثر لحـم الفنـان ودمه لتقتات منه الديـدان والأرض ، مثل بقيـة بنى الأرض . أما كلمـاته « المضيئـة » فتتناثر فى الأجيال الصاعدة ، لتكسو العـرى بلحـم الفنـان ودمـه ...

م . م .

— ١ —

★ إنسان « تـونس الجـديدة » لم يعد ذاك الغريب ، يجتر مع الأصيل أشلاء جثته المكفنة بالفراغ . لم يعد ذاك الشبح المفكك من صورته والصوت الفاقد لصداه ...

انسان « ما بعد التحرر » فى أرضى الحبيبة قد وجد ما هو أجدى من أعقاب السكاير المهملة ، ومن السهر الانتحارى والساعات المبصـوقة فى مواخير الاستجداء للقدر آنا ، وللصدفة آنا آخر ...

محجوب ماسح الأحذية لن يعثر عليه بعد اليوم ، تحت أغصـان الزيتون بالمقبرة حيث كان ، ذاك الغريب .. ذاك الانهزامى يحتسى بين رفقة الزوايا أرخص أصناف العرق مع الأرملة المومس الخادم عند ڤاستون السفاح للثوار فى بلادى ...

مع القطيع البشرى الطيب الدؤوب من أجل اقتناص الخبز ، قطيع العمال والضـائعين كان انسـان « المـدينة العتيقـة الميتـة » يجلس ويقف ويمشى ...

وذات يوم ...

التفت ذاك الانسان فاذا بأهله بلا آذان . بلا عيون . واذا بالمدينة مقبرة خرساء بلا قبور . حتى هو كان جثة تمتد اليها أصابع الفناء ومناقير

الغربان • كان جثة فى مدينة الجثث التى فر من موكبها الرهيب المشيعون ، والتى أخذت تجتر نفسها بنفسها الى قعر الهاوية •••

أما اليوم •••

فقد استيقظت المدينة الصغيرة من غفوة الفناء • فاذا بالانسان الجديد هذا الثورى المؤمن بما (فوق الزمنى) يخيط أشلاءه الضائعة مع أشلاء ضحايا الجهل والحرية فى كل مكان • واذا به يقيم نثار عمره من كل قطرة دم لم تعد أنهار الدموع قادرة على غسلها •••

هذا الانسان الجديد ، ليس فقط انسان تونس بل انسان البعث فى كل مدينة مؤمنة « بالفعل الثورى الخلاق » ••• بالفجر الجديد •••

— 2 —

هواة الاجازة الأبدية والراحة مدى الحياة ، هم أولئك الذين يحيون زاحفين على تراب العادة ، ينظرون أفقيا ، يفكرون أفقيا ، وينافقون ويتفوقون أفقيا •

أما « الحى » فى شرعتى ، فهو ذاك الذى يبحث عما وراء القريب ، عن الأبعد ، وينتزع كل ما هو أزلى فى صميم « اللحظة » العميقة •

والفنان « الحى » فى اعتقادى ، هو ذاك الذى تستمر خلاله ازمة التمزق الانسانى من أجل « انسانية » أعمق • إنه حس التطور وضمير الرقى • جبهته اللحظة العميقة تمتد اليها منه وتمسك بها أصابعه لتتداعى الأقنعة • ليماط اللثام • لتمحى وصمات الدونية ، والعجز ، والاعوجاج ، والشيئية ••• يعود الفنان (أديبا كان أو شاعرا أو رساما أو موسيقارا) من رحلة المجهول ، مستنفذا الوسع من أجل تجسيم ما حام على نجواه من رغبة تلوين السانح ،وتسليط حزمة ضوئية على طلاسم المبهم ، تلك الأرض الحبلى بالألغام الدفينة ، والتى تستعصى على غير « **العارفيها** » من معاصرى الفنان ، وعلى غير « المدركيها » لدى اطلالة الفنان العالية من تحليق الوحى ، « ليجلب » حسهم « الأفقى » بما « **فوق الزمنى** » وبما خلف الظاهر ، وبما وراء القريب •••

ذاك الفنان الذى تصبو اليه يقظة كل مدينة صباحية شابة ، **خلاقة** ، ليس من هواة الاجازة الابدية والراحة مدى الحياة ، وليس ذاك الذى

يتملق غرائز « البلهاء » أو قهقهتهم أو صهيلهم بقرع طبول الاطمئنان البليد ، أو النعيب الباكي ، بل هو ذاك الذى تحيا عروقه فوق بشرته · فلا على الطمأنينة الزائفة يتمدد ، بل على الارق الاكال الانتحارى · أجفانه جسرنا لعالم غير هذا العالم الآنى الذى نراه ، بل لعالم سرمدى ظاهر وخفى ، هو عالم « انسانيتنا » وقد ظهرت من الفجاجة والسلبية الناتجتين عن وضع « الكائن الحى » فى كافة الأطر بما فيها إطار ثرثرة السابلة ، ونتن الجثث المتحركة ، وروائح المومسات السكارى ، ودخان السادرين ، وغثيان البول والقيء على جدران الأزقة الملتوية النحيلة ، الهاربة أمامك ···

ثم قس أنت على ما عرفت وما لم تعرف من حملة القلم ، وعلى ما أنتجته القرائح وما لم تنتجه ، ثم اعفنى من الاستقراء معك ···

- 3 -

بعض ملامح المدينة العتيقة ، قد عكسها القلم والريشة على اختلاف فى مستوى الوفاء والاتقان · وحسبك (ببرق الليل) البطل الخرافى البعيد الاشارات ، وبـ (بودودة مات) ترفرف أمامك أجنحة روحه · وببعض رسوم الأقواس ، والزوايا و « القباقب » ··

ومعلوم أن ما ذكرت هنا ، لا يمكن حشره مع « دجاجة عمتى » أو « عمتى عايشة راجل » أو « الجمل ضحك ضحكة » البون شاسع ، ··· كما ترى ··!

ومن التعسف بمكان ، أن يضحك « انساننا » الجديد ساخرا مستخفا بهذه الأسماء والعناوين التى قد يرى أنها أحرى بمتحف المدينة « الميتة » القديمة ، وبكهوفها السردابية · كما أنه من الظلم بمكان ، أن نلقى تماما تلك الملامح التى قد لا يرى فيها (البكاؤون) (1) حسب اصطلاح الاستاذ البشير بن سلامة ، وهم (الجنس الثالث) من المنتقدين بين التمشرق والتمغرب النزعتين السلبيتين اللتين أشار اليهما الاستاذ محمد مزالى منذ سنة ·· قد لا يرون فيها الا قيمة دعائية سياحية ، وأنا أدعو هؤلاء الى تعديل احكامهم واصلاح مقاييسهم والاقتداء بالنظرة الشهمة المتسامحة التى دافع بها الاستاذ « بن سلامة » عن كيان أدبنا التونسى وأصالته · وما أحوج حياتنا الادبية الى هذا الضمير الادبى ، والرؤيا النقدية العقائدية · فالبؤرة

---

(1) فهم الذين أحبوا تونس ورغبوا فى أن يكون لها أدب ولكنهم لم يتتبعوا انتاج أدبائها وغفلوا عن دررهم وقصروا فى اشاعة الحسن وبالغوا فى التحقير من السيء ومضوا يبكون الحظ ويندبونه ·
(الفكر - السنة 12 عدد 8) البشير بن سلامة ·

فى التقييم النقدى عند بعضهم قد سمدت تربتنا الفكرية سمادا غير لائق . فاما « الشطب » المجانى الأخرق بجرة قلم أو لسان ، واما التصفيق المنافق للتيار بشكل صبيانى فى غير مصلحة التيار ، ناسجين من خيوط الاطراء العنكبوتى ثوبا فضفاضا تبدو فيها حقيقتنا مثل بدوية تكيست وتحذلقت بطريقة سوقية وشعرها يلمع بزيت يسيل على جبينها وفوديها ، ومتهدل على كتفيها بكيفية خالية من الذوق ... مثيرة للضحك ...

وعسى أن يتقلص شبح الناقد الانهزامى ، أو العدائى (بكاء كان أو متمشرقا أو متغربا) فتنتهى بذلك «ضجة قرن الثور فى مصنع البلور»... هذا البلور الذى يمكن لكل ذى بصر أن يبصر من خلاله أمجاد تونس الأدبية منذ القرن الثانى للهجرة الى اليوم كأسد بن الفرات وسحنون ، وابن رشيق وابن شرف وابن خلدون (الخ) ممن اتسع الجانب « الانسانى » من تفكيرهم وأصبحوا مفخرة لا لتونس فقط ، بل للعرب وللفكر « البشرى » ...

— 4 —

برغم تأييدى للاستاذ البشير بن سلامة الذى أجل فيه نبل نظرته وشهامة دفاعه عن أدبنا . وبرغم دعوتى الملحة الى « ضرورة التحاضن الفكرى » (2) فثمة سؤال يطاردنى . يلاحقنى . يثقب تفاؤلى . يخترق لامبالاتى كلما تحاورت فى صمت مع كتاب أو لوحة أو نغم..أو بناء معمارى..

— الى أى مرفأ يحملنى الأثر الفنى؟..

هذا هو السؤال الذى أصبحت تزعجنى مجابهته ، وأنا أحث الخطو فى حينا الادبى باحثا عنك وعنى وعنهم ..!

أما الاجابة التى أراها ونسيها « الكثيرون » فهى التالية : « انسانيتك مرفئى » تلك التى خرج من أجلها منذ قرون الفيلسوف الاغريقى « ديوجين » حاملا مصباحه فى رابعة النهار يبحث عن « الانسان » .

— انسانيتى مرفئى ..!!

ذلك أننى كما أسافر مع موجة عبير ، أولون ، أو عيون طفل طاهر ، أو أصابع متسول ، كذلك أسافر مع الأضواء والظلال والنقطة والقمة والابعاد والجو والازمة واللون فى أثر فنى ما ..

(2) انظر المقال المعنون (كذا) بالصباح الادبى بتاريخ 1966/4/14 . وانظر « الفكر » — ماى 1967 المقال المعنون « كى لا ينقطع الحوار » .

– الى أي مرفأ ؟..

رب لمسة فنية ، أو لقطة بارعة ، أو ايماءة موحية ، قذفتني دفعة واحدة ، أمام انسانيتي . كشفت وجهي الحقيقي . وجهي العميق الذي لا يرى الا من خلف ملامحي والذي يتعطش الى بضعة قيم غارقة هنا ، بين خفايا دواخلي ، وغوامض سري ...

– إلى أي مرفأ ؟

وهذه التوائه من الخطوط والالوان تطارد اهتمامي تعطل احساسي بالفن . تمزق عزم الرؤيا . تحجرني أمام براقع الان « الكرتوني » الملصق في أطر ذاك الفن الانغلاقي الذي تترجرج أشواطه المقطوعة في دروب الحس . يتقشط عن هيكلي اللحم .. تستحيل ناري الى ذرات غبار في « مدخنة » . أين هم ما دامت آثارهم لا تدل عليهم الا بما يخفي وجوههم .

خلف آلاف النسخ والبراقع والاقنعة . ماذا سيبقى فيكم يا هؤلاء لو بحثنا في آثاركم بمصباح « ديوجين » عن (الانسان) الذي لم تكونوه يا حملة رايات المتحف العتيق ، ولافتات الواقعية والالتزام التي لا واقع ولا التزام فيها .

– إلى أي مرفأ ؟

ولحظات القارىء المثقف (العميقة) هي تلك التي ينتزع فيها « أزلية الانسان » هذا الذي تلف تفاريقه مدار الأزمنة والأمكنة » . أنا وأنت ، نبحث في فنونهم عنا ، عن حقيقتنا من أجل أن نمارس حقيقتنا . نضاجع حقيقتنا نصفي معها حساباتنا .. القديمة والجديدة ...

– إلى أي مرفأ ؟

وما من الاصطدام بك من بد ، وأنت يا قارئي تجيل نظراتك في ما حولك ؟

★ ★ ★

أصوات الصامتين في تونس الجديدة بدأت ترتفع من صدور الشباب . بدأت تستأثر باهتماماتي الصغيرة والكبيرة ، وتهدد بالسحق كل عوائق التطور ، مشيرة بأصابع من نار الى الأطر العتيقة (المستوردة والموروثة) ، متهمة كل « الطفرات » التي تخفي « انسانيتي » ، مهمهمة بكلمات « الانسانية » التي هي مرفئي المقدس ، تلك الكلمات العابقة من الأعماق ، كما التسابيح من هيكل الله تعبق ..!

محمد المصمولي

67/5/16

شــــذرات

شعر : منور صمادح

شهــوة (1)

مـن الامــل الملــون أزدريهــا
وأنثــر وردهــا وأعيـش فيهــا
أحـب الشهـوة الرعنـة إذا مـا
تبيـع الجـوع فيـك فأشتريهــا
مجـلى ؟ ذاك غـار فـوق رأسـى
أتيـه بـه عـلى الأيـــام تيهــا
فيــومـك غـادة شغفتــك حبا
وحتى مـن يحبـك يشتهيهــا
ولكنـى محـب للمعــالى
وحسب الشعر أن يجد النزيهـا

؟ ؟ ؟

سبـاق التسلـح هـل ينفـع ؟
وللحـرث هـل يصلـح المدفـع ؟
لمن نشتـرى يا رفيقـى السـلاح
وأى الاعـادى بـه نـدفـع ؟
وفى أى أرض جـرى صنعـه
ومـاذا عسـانـا بـه نصنـع ؟

* * *

الضــميـر

هو الدهر عبـدك ذاك الأسيـر
يقيــدنى وهـو أمـر عسيـر

كأنى قتلت أباه صغيرا
فهب ليثأر وهو كبير
يجند أيامه والليالى
ويحمل حملته ويغير
ويغرقنى فى خضم العوادى
فيغمرنى شرها المستطير
واطفو وارسب ما بين مد
وجزر وأسأل : كيف المصير ؟
وقد عرف الناس أنى طروب
وإنى لسمح الفؤاد غرير
ولكن فى النفس ما لا يقال
سرورى باد وحزنى ضمير

* * *

ع عفت منازعنا فكان الحب
وهفا إلى تلك الربوع القلب
ى يا أيها الأمل الجميل ترفقا
إن النفوس ضعيفة إذ تصبو
ش شامت لواحظنا على بعد المدى
نجما فكيف يكون منه القرب ؟
و وهو المشع بنوره لا يختفى
تنجاب طول الدهر عنه السحب
ش شخصت لطلعته الشموس لوامعا
فخسفن، وانتحرت عليه الشهب
ه هيهات يبلغه السهاد فحسبنا
أن بان من ذاك الشعاع الدرب

* * *

صــورتــهــا

لـو أخـذوا عنك ألـوف الصـور
ورصعـوهـا بكـريـم الحجـر
ثم أقـاموا معـرضا يسبى النهى
وينتهـى الخلـق لـه بالنظـر
مـا أعجبتنـى يـا فتـاتى صورة
مثل التى قد رسخت فى فكـرى
بنظـرة السحـر التى أعبـدهـا
بـوجههـا المـورد المنـور
بروحها النشوى بأسـرار الهـوى
ولفظهـا المـرونـق المؤسـر
وصنتهـا عن كل عيـن أبصـرت
أود لـو أصونها عـن بصـرى

* * *

لســت أنــت

تهتكـت فى الحـب لا أستحـى
فمـا أنت أغنيتـى فى الأغـانى
وغيـرت وجهتـى فى المسـرح
روايتنـا غيـر ذات معـانى

* * *

رفعـت الـورود الى راحتيـك
وأودعتهـا كـل شـوقى إليـك
فأذبلتهـا أسـفـاه عليـك
وكسـرت كأسـك بين يديـك
ووا أسفـاه عليـه
أضعتـك بين يديـه

كـذلـك ضعـت فـلا تفـرحى
ولا تذكـريهـا ليـالى التـدانى
تهتكـت فى الحـب لا استحـى
فما أنـت أغنيتـى فى الأغـانى

* * *

ألـم تقسمــى أننـى الأوحـد
وأنــا سيجمعنـا مــوعـد
عليــم بأســرارنـا المقعـد
ويـذكـر مـا بيننـا المــوقـد
بالسنــة مــن لهيــب
يسـائل هـل من مجيـب
فلا تزجـرى الدمـع لا تمسحـى
فكم خفف الدمع من إثـم جـان
تهتكـت فى الحـب لا استحـى
فمـا أنت أغنيتـى فى الأغـانى

* * *

(جـمـال) الشعـر (2)

ج « جمال » الشعر فى الألم العميق
ومسيرة الغـروب إلى الشــروق
م مضمخـة دمــوعـك بالأمــانى
بـأن يلقـاك حلـم فى الطــريق
أ أمـا للدمـع عنـدك من نضـوب
وقلبك كم يعـانى من حــروق ؟
ل لأنـت البلبـل المجـروح فينــا
وجـرحى لا يضمـد يـا رفيقـى

---

(1) فى تكريم الشاعر جعفر ماجد بمناسبة حصوله على جائزة القيروان للشعـر .

(2) الشاعر جمال الدين حمدى .

نشوء المذهب الخارجي بافريقية والمغرب

بقلم : علي الشابي

لقد روع الخوارج الدولة الاموية بثوراتهم المتتالية وبسيطرتهم على بعض البلاد فى ايران بارض فارس وكرمان وسجستان والاهواز وسائر كورها (1) وفى الجزيرة العربية باليمامة والطائف واليمن وحضرموت بالاضافة الى مركز « البطائح » عند البصرة ، وكان السبب فى تفرقهم وعدم تمركزهم فى منطقة واحدة الهزائم التى منوا بها من طرف على وجيشه فانساحوا فى البلاد جماعات ووحدانا ، ولعفويتهم وصفاء ايمانهم ظلوا ينفصلون عن بعضهم ويحتد اختلافهم فيما بينهم (2) الى ان أصبحوا عشرين فرقة تفرغت كل منها لمسألتين :

1) الخلافة

2) الايمان

وتنطبع آراؤهم بيسر المأخذ والتشدد فى الدين والتمسك بالعدل والمساواة، وحين نتتبع خط سيرهم فى البلاد التى قصدوها بعد معركة النهروان سنة 38 هـ نجده خاضعا لطبيعة صراعهم ، ومن المنطق ان ينساحوا فى اطراف المنطقة التى ظهروا بها ؛ وظلت الاموية تتعقبهم لثوراتهم المتكررة وانتوائهم القضاء عليها اذ تمكن الحجاج بن يوسف من متابعة اكبر فرقهم الازارقة وتحطيمهم اثر اندحارهم بطبرستان (3) وهبت عليهم ريح الفناء لولا ان قلة منهم آثرت

---

(1) ابو المظفر الاسفراسى : التبصير فى الدين / 50 ط : الخانجى والمثنى (لم يؤرخ)
الشهرستانى : الملل والنحل ، تخريج بدران 10/1 ، 109 ط ثانية الانجلو مصرية ، القاهرة 1956

(2) انظر مثلا : الانشقاق البالغ الذى حصل فى فرقة واحدة من فرقهم وهى فرقة النجدات العاذرية فى الملل والنحل للشهرستانى / 111 – 112 .

(3) ان التجاء الخوارج اخيرا الى طبرستان بشمال ايران بعد ان طوفوا طويلا بالمناطق الغربية الجنوبية حيث تكثر السهول والصحارى راجع الى صعوبة المنطقة التى تقع بها وهى المنطقة التى تسمى (بلاد الجبل) وواضح ان الخوارج لجأوا اليها اثر هزائمهم المروعة لانهم راوا فيها المكمن المنيع الذى حمى سكانها الديالمة ومكنهم من التمرد دوما على السلطة ، ويحتمل ان يكونوا قصدوا الى هذا استغلال الديالمة فى معركتهم الفاصلة

الهروب بعيدا فن مركز الخلافة الى افريقية والمغرب وخراسان وسواحل الخليج العربى لتجد لها من جديد منطلقا الى ترويع الاموية والقضاء عليها ، والذى يرجع الى التبصير (4) مثلا يدرك ان الصلابة التى واجههم بها عبد الله بن الزبير ومن بعده الحجاج كانت سببا كافيا لتشردهم فى الافاق ٠

والمصادر على اختلافها مشرقية ومغربية لا تسعفنا بتحديـد وقت لظهـــور الخوارج فى ارض افريقية والمغرب وهى تتفق مع هذا على انهم حين ظهـــروا وجدوا من ميل البربر الى التمرد ومناهضتهم للحكم الاسلامى وعدم رضاهم عن مسلك بعض الولاة ما مكنهم اخيرا من تكوين اول دولة خارجية فى التاريخ دولة بنى مدرار بسجلماسه ٠

إننا لو حاولنا ان نضبط تاريخ ظهورهم لنفهم طبيعة الانتصار الخـارجى فلن نجد الا اشارة عابرة تصـادفنا فى كتـاب ابن الخطيب (5) فى الحـديث عن دولة بنى مدرار واخذ سعد جد مؤسسها عن عكرمة البربرى بن عبد الله المدنى (25 ـ 105 هـ) فعكرمة هذا حسب المالكى(6)فى الرياض الذى لم يقف عند الاشارة التى تفيدنا فى هذا الصدد من بربر افريقية اشتراه عبد الله بن عباس وتفرغ للاخذ عن مولاه فاصبح اعلم الناس بالتفسير والمغازى ، روى عنـــه زهاء ثلاثمائة رجل منهم اكثر من سبعين تابعى ، واذا رجعنا الى ما كتبه ابو العباس المبرد (7) فى كتابه عن الخوارج وجدنا ان نافع بن الازرق يكثر من

واستنزاف ترددهم وتهيئتهم للثورة،ولما لم يجدوا منهم اذنا صاغيةلاختلاف الوجهتين ونزلت بهم الكارثة فرت بقيتهم الى الاطراف فاتجه بعضهم الى افريقية والمغرب برغم بعد المسافة لعلهم يجدون فى البربر الذين وسموا ايضا بالتردد والتمرد الامل الذى يبعث فيهم الحياة من جديد : راجع تاريخ طبرستان « فارسى » فى مواضع عدة ، وعن ثورات البربر قبل ظهور الخوارج بافريقية والمغرب ، ابن خلدون : تاريخ الدول الاسلامية بالمغرب بعناية دوسلان 1 / 137 ط الجزائر 1847 ٠

(4) للاسفراييني تحقيق محمد بن زاهد بن الحسن الكوثرى 50 ـ 51 ط الخانجى والمثنى مصر 1955

(5) القسم الثالث من اعمال الاعلام وهو المسمى (المغرب العربى فى العصر الوسيط) تحقيق وتعليق الدكتور احمد المختار العبادى ، الاستاذ محمد ابراهيم الكتانى / 138 ط دار الكتاب العربى الدار البيضاء ، وراجع ابن خلكان : وفيات الاعيان 11/319 ـ 320 ٠

(6) رياض النفوس تحقيق الدكتور حسين مونس 1/92 مصر 1951 ٠

(7) الكامل ، التزام سيد أفندى سليم 3/130 ـ 136 ط الازهرية بمصر (لم يؤرخ) ٠

الاتصال بابن عباس ليسأله عن المقاصد القرآنية واستمرت الصلة على هذا النسق الى ان ضجر ابن عباس لالحاح نافع بالسؤال واسرافه فى الاعتراض فادرك ابن عباس الملال (8) وقد عاش عكرمة مولى ابن عباس هذه المشاهد وروى بعضها ، ومما نقل عنه انه رأى نافع بن الازرق يسأل ابن عباس ويطلب منه الاحتجاج باللغة (9) ودون ريب فان عكرمة كان على صلة بابن الازرق ولربما اعجب بقدرته على الحجاج فمال اليه واستمع الى مقالتـــه حتى اذا نفـر من تفاصيلها ولمس فى الوقت نفسه نشد ان الخوارج على اختلافهم للعدل والمساواة أدرك نجدة الحروري زعيم النجدات فاقام عنده ستة اشهر لقنه اصول مذهبه الموسوم بالاعتدال ورجع يحدث برأى شيخه .

ومن هنا كان علينا ان نعتبره كما اعتبره المبرد احد الكبار الذين استهواهم راى الخوارج (10) ولكننا نعرف أيضا ان عكرمة خرج من بعد ذلك الى بلاد المغرب صحبة سلمة بن سعد تلميذ أبى عبيده التميمى الاباضى وعكف عكرمة فى مؤخر جامع القيروان فى غربى الصومعة يقرىء الناس (11) لكن ما الذى يقرئهم ؟ اننا نفهم انه كان يعلمهم اصول المذهب الخارجى الذى فقهه فى اقامته بالمشرق وتنقله الواسع بين بلاده (12) ويكون من الطبيعى لو ان دروسه هذه كانت فى مذهب النجدات ومع هذا فلا نفجأ حين نجد فى ترجمته ما يفيد بان اهل المغرب اخذوا عنه رأى الصفرية (13) وذلك لامرين :

1) يمكن ان يكون عكرمة قد تحول عن النجدات ايضا فى احدى رحلاته ببلاد الشرق حيث لاقى الصفرية فى اى منها ومال الى مقالتهم .

2) ويدعم هذا الاحتمال ان مقالة الفرقتين النجدات والصفريـــة لا تختلف كثيرا وان يكن الاعتدال طابع الاولى فان الصفرية تقف ايضا موقفا وسطا بينها

---

(8) الكامل ، (نفس المصدر) 135/3 سطر 4 ، 5 .

(9) نفس المصدر 130/3 .

(10) نفس المصدر 126/3

(11) الرياض 92/1

(12) يؤيد هذا ان سحنونا حين ولى القضاء منع سائر الفرق عدا المالكية من ان تباشر نشاطها وتعاليمها داخل المسجد الجامع بالقيروان وهذا يدل على ان هذه الفرق كانت تباشر نشاطها بحرية فى الجامع قبل قضاء سحنون .

(13) ابن الخطيب : المغرب العربى الوسيط / 138 .

وبين الاباضية(14)وبذلك تقترب من النجدات بقدر ما تبتعد عن الازارقة المغالين: وهذه الليونة التى تسرى فيهما هى التى اتاحت لعكرمة كما نظن ان ينتقل بينهما كما اتاحت للفرقتين ان تستمرا زمنا وان تكون كل منهما دولة تقوم على اساس مذهبى فى الجناح الغربى للدولة الاسلامية بعيدا عن عاصمة الخلافة فى حين تحطم الازارقة برغم سبقهم لانهم يحملون سبب فنائهم معهم اذ ليس من المعقول ان تنجح فرقة تعتبر غيرها من المسلمين مشركين وارضهم ارض شرك تحرم الاقامة بها ٠

ويبدو ان عكرمة البربرى استطاع ان يكون بالمسجد الجامع بالقيروان مدرسة صفرية نفذت تعاليمها الى قلوب البربر واهوائهم بمختلف بلاد المغرب (15) وجد دعاتها هنا وهناك يؤلبون القوم للانقضاض على الدولة الاموية التى بددت الخوارج بالمشرق وظلمت البربر بالمغرب واقامت سلطتها على نسق جاهلى تتحكم فيه العصبية لذلك اثمرت تعاليم عكرمة بينهم فقد تمكن حفيد تلميذه (سعد) (16) عيسى بن يزيد بن سعد (عيسى بن يزيد الاسود حسب البكرى 149) ان يجمع حوله قبائل كثيرة من زناتة التى سرى اليها من قبل مذهب الصفرية ويكون بهم دولته بسجلماسه باقصى الجنوب للمغرب سنة 140 هـ على اساس مذهبى مستغلا سقوط الاموية واضطراب العباسية فى بدايتها لتكون اول دولة خارجية فى التاريخ ؛ وابن الخطيب يشير الى ان زناتة كانت صفرية قبل ان يظهر فيهم عيسى بن مزيد (16) كما يشير ابن عذارى

---

(14) المغرب العربى الوسيط / 137 هامش (2) فقد اخطأ المعلقان حين قررا ان الصفرية اكثر الخوارج اعتدالا ، والحق انهم يتوسطون بين النجدات والاباضية وان هؤلاء اكثرهم اعتدالا ، آية ذلك من غير حصر ان الاباضية يجوزون موارثة مخالفيهم من المسلمين وشهادتهم كما يجوزون مناكحتهم دون قيد بينما تحرم الصفرية المناكحة الا فى حالة واحدة اشار اليها الشهرستانى بقوله (ونقل عن الضحاك منهم انه يصح تزويج المسلمات من كفار قومهم فى دار التقية دون العلانية) / 123 ، وقارن الشهرستانى 123 ـ 122 ولست أدرى كيف اعتمد المحققان الشهرستانى وخرجا بمثل نتيجتهما تلك واعتمدا محمد ابا زهرة وهو الذى قال عن الاباضية فى كتابه (تاريخ المذاهب الاسلامية 1 / 91 ط دار الفكر العربى) « انهم اكثر اعتدالا » ٠

(15) سنقف عند دعاة الاباضية الذين عرفنا عنهم فى القرن الثانى (فى الربع الاول من القرن الثانى) فى حديثنا عن ظهور الاباضية كقوة سياسية فى طرابلس وتونس والجزائر وهؤلاء الزعماء الاربعة هم : سلمه الاباضى وعبد الله بن مسعود التجيبى وعبد الجبار بن قيس المرادى والحارث الحضرمى ٠

(16) تاريخ المغرب العربى فى العصر الوسيط / 139

ان برغواطة كانت خارجية قبل نشوب ثورة البربر بافريقية سنة 122 هـ بقيادة ميسرة المدغرى ولا شك ان عكرمة ما كان ليؤثر هذا التأثير لو لم تكن الخارجية قد نمت بالمغرب عن طريق غيره من الدعاة الذين يعرفون حق المعرفة ان النجاح وقف على الاتصال بالبربر فى مواطنهم بالبوادى والجبال واستمالتهم وتحريك نوازع الثورة فيهم على الدولة (راجع عن هؤلاء الدعاة Folia Orientalia سنة 1959 حيث كتب ليفكى بحثا عن الخوارج وقف فيه طويلا عندهم) وبالتسلل الى الجيوش الاسلامية التى كانت تفد على افريقية والمغرب لتوطيد الفتح بغية كسب انصار لدعوتهم يهبون لتعضيدها ويقلبون المجن على الجيش الذى ينتسبون اليه .

وبين ان الاسلام لم يشهد انتصاراته الظافرة بتركزه فى نفوس البربر كما لم ينفذ الى قلوبهم بصورة جماعية الا فيما بين 86 و101 هـ وهى الفترة التى تمتد بين ولايتى موسى بن نصير واسماعيل بن ابى المهاجر . واذا كان العرب قد شغلوا قبل هذا التاريخ بالمعارك الحربية الحاسمة فى الرقعة الافريقية حتى اذا ما انتهوا منها واجهوا تمرد البربر الهادف لاستعادة السلطة من جديد فى ثورتى كسيلة سنة 65 هـ (17) والكاهنة فى ولاية حسان بن نعمان (73-85 هـ) فانهم انتقلوا فى المرحلة التالية الى مواجهة جديدة فرضت عليهم استراتيجية من نوع آخر فلم تعد المعارك الحربية وحدها بقادرة على ان تضع الحل النهائى الذى من اجله انتشق المسلمون السلاح واستهدفوا افريقية والمغرب ومن هنا كان عليهم ان يلجأوا الى وسيلة مرنة تفتح للاسلام ولتعاليمه الطريق الى قلوب المناهضين فاتجهوا الى ارسال بعثات تعليمية تبصرهم بالقرآن والفقه واللغة العربية والحق ان حسان بن النعمان عقب توطيده دعائم الفتح العربى بالمغرب بتلك الحروب الظافرة التى اسدل بها الستار على تمرد الكاهنة واتباعها بادر الى هذه الوسيلة العملية بان عين للاهلين ثلاثة عشر فقيها من اجلة التابعين يعلمونهم القرآن واللغة العربية (18) فكان هذا البداية الحق لحركة التعريب التى لم تكن على يد عقبة قبل الا ارهاصة محدودة ثم تلاه موسى بن نصير الذى وطد ظفره الحربى بتولية طارق بن زياد على طنجة وتمكينه من جيش قوامه

---

(17) راجع تاريخ المغرب العربى الدكتور سعد زغلول عبد الحميد / 169 . ط / دار المعارف الاسكندرية 1965 قد ناقش المؤلف تاريخ مقتل عقبة ومبدا استيلاء كسيلة على القيروان مناقشة بارعة .

(18) راجع النص الجديد لليفى بروفنسال صحيفة المعهد سنة 1954/229 .

اثنا عشر الفا من البربر وسبعة عشر الفا من العرب (19) اما ابن خلدون فيضبط العدد (باثنى عشر الفا من البربر وسبعة وعشرين من العرب امرهم موسى جميعا ان يعلموا البربر القرآن والفقه) (20) شانه فى هذا شان حسان ابن النعمان وشان عقبة بن نافع من قبله الذى ترك فيهم بعض اصحابه من بينهم شاكر يفقهونهم فى الدين (21) ومع ان حسان وعقبة قد سبقا الى هذا فان جماعتهما كانوا قلة لا ينتظر منهم ان يؤدوا الرسالة فى صورتها المبتغاة من حيث التاكد والذيوع وعلى فرض ان موسى قد اقتفى اثرهما فان ما وفره بارسال جيش كبير ذى طبيعة مزدوجة حربية وتربوية الى الاهلين كان كافيا للتعرف على الحيطة واليقظة اللتين يتسم بهما هذا القائد ولنشر التعاليم الدينية بينهم والبعد بهم عن التمرد والتردد الذى امعنوا فيه ولما فتح طارق بن زياد الاندلس الجناح الغربى للمغرب (22) هالهم انتصار المسلمين وخشوا قوة الحكم الاسلامى وامتداده وهبوا لمالاته وانكفأوا عن الثورة الى حين ، ورسخت فيهم كما قال ابن خلدون كلمة الاسلام وتناسوا الردة (23)

ولكنهم سرعان ما وجدوا منفذا الى المنافرة اعطى لنزوعهم طابعا اسلاميا ظاهريا والهب مرة اخرى قلقهم النفسى وتوقهم للانقضاض على السلطة ذلك انهم بادروا الى لقاء الخوارج الذين قدموا الى افريقية والمغرب اثر الترويع الذى اصابهم على يد الامويين واخذوا عنهم واستمعوا الى مقالتهم التى تدعو الى المساواة والثورة على الظلم والعمل بكتاب الله ويبدو ان هذه المقالة لم تغرهم لان الوقوف عندها والارتباط بها يحتاجان الى ثقافة دينية واسعة تمتد الى فهم طبيعة الاسلام ودوره فى حين كان البربر حتى ذلك العهد كما رأيت، وانما الذى أغراهم تصميم الخوارج ودعوتهم الى الثورة على السلطة (24) ان البربر ما لبثوا بعد فتح الاندلس ورسوخ كلمة الاسلام فيهم ان ترددوا (ونبضت فيهم عروق الخارجية فدانوا بها ولقنوها من العرب الناقليها من

---

(19) ابن عذارى 1/36 الاسطر 6 _ 7 _ 8 ويبدو ان ضبطه عدد الجند العربى على هذا الشكل خطأ وربما كان من الناسخ لان ابن خلدون يضبطه بسبعة وعشرين فمنطق الاحداث يفرض ان يكون عدد العرب قلة فى جيش البربر لان العرب يقومون عادة بالقيادة فحسب وعلينا ان نفهم من هنا ان العدد الذى اورده ابن خلدون هو الصحيح فهم الذين قادوا الجيوش البربرية الى هذه المعركة .

(20) ابن خلدون 1/136 .

(21) ابن عذارى 1 / 37 .

(22) اخبار مجموعة (لمؤلف مجهول) .

(23) ابن خلدون 1 / 136

(24) جاء فى تاريخ بن خلدون ط / دوسلان 1/ 136 ، 137 .

منبعها بالعراق وتعددت طوائفهم وتشعبت طرقهم من الاباضية والصفرية ... وفشت هذه البدعة واعتدها رؤوس النفاق من العرب وجراثيم الفتنة من البربر ذريعة الى الافتراء على الامر فاجلوا فكل جهة ودعوا الى عقائدهم طغام البربر يتلون عليهم مذاهب كفرها ويلبسون الحق بالباطل فيها الى ان رسخت فيهم كلمات منها ووشجت بينهم عروق من غرائسها) واستمرت الدولة فى العناية بهم وفى تربيتهم تربية اسلامية وربطهم بالخلافة فحين ولى الخلافة عمر ابن عبد العزيز ارسل اليهم مع الوالى الذى عينه بافريقية اسماعيل بن أبى المهاجر عشرة من التابعين (25) ليفقهوهم فى الدين (وما زال [الوالى] حريصا على دعاء البربر الى الاسلام حتى اسلم بقية البربر على يده) (26) وذلك سنة 101 (27) فنحن نرى اذن ان الدعوة الخارجية سلكت فى انتشارها فى بلاد افريقية والمغرب مسلكين :

1) مسلك علمى مثله عكرمة البربرى وسلمة الاباضى ومن بعدهما عبد الله ابن مسعود التجيبى المتوفى سنة 126 وعبد الجبار بن قيس المرادى والحارث الحضرمى ثم ابو الخطاب بن عبد الاعلى بن السمح المعافرى الذى تولى امامة الاباضية فى طرابلس سنة 140 هـ .

2) مسلك دعائى سرى مثله دعاة كانوا ينبثون بين البربر والجنود وقبل ان تظهر دولة بنى مدرار سنة 140 كانت ثورات البربر الخارجية تهز ارض افريقية والمغرب هزا مما اتاح لاولئك من بعد ان يكونوا دولتهم فى غير عناء ودون ان يجدوا صعوبة تذكر .

وتؤكد المصادر المختلفة (28) ان اول ثورة خارجية بربرية بارض المغرب كانت سنة 122 وهى ثورة ميسره المدغرى التى سنخصها ببحث مستقل .

على الشابى

---

(25) راجع ابا العرب / والمالكى / 64 _ 76 .
(26) ابن عذارى 1 / 45 .
(27) ابن خلدون 1 / 136
(28) راجع مثلا ابن عذارى 1 / 137 .

طيفها

شعر : رياض المرزوقي

(إلى طيف أ. ب.)

طيفُهَا غَفْوَةٌ بالشذى تَقْطُرُ
طيفُهَا مَوْجَةٌ حُلْوَةٌ تُسْكِرُ
طيفُهَا حَرْقَةٌ لَوْعَةٌ تَعْبُرُ
طَيْفُهَا أزْمُنٌ طَيْفُهَا أعْصُرُ

طَيْفُهَا جَنَّةٌ بالهَوَى تُورِقُ
طَيْفُهَا لَوْحَةٌ سَادَهَا الأزْرَقُ
طَيْفُهَا فَرْحَةٌ بالهَنَا تُشْرِقُ
طَيْفُهَا رَكْعَةٌ، أحْرُفٌ تَكْبُرُ

أحْرُف خَمْسَةٌ رَقْصَةٌ نَاسِيَهْ
أحْرُف خَمْسَةٌ لُعْبَةٌ قَاسِيَهْ
أحرُف خَمْسَةٌ قِصَّةٌ رَاسِيَهْ
وَاسْمُهَا مَا اسْمُهَا لَيْتَنِي أقْدِرُ !

رياض المرزوقي

66/4/3

مسـرحيـة :

بقلـم :
محمد الصالح الجابرى

كيف لا احب النهار ؟

- 2 -

* أشخـاص الـروايـة *

عيسى .... صبايحى بدار المراقب

الشاذلى (شيتة) .... صبايحى بدار المراقب

مسعود .... زنجى سائق المراقب

ميشال .... المراقب

مرغريت .... زوجة المراقب

التجانى .... ابن الحاج أحمد البوزيدى

الحاج البوزيدى .... شيخ العشيرة ، ومن اعيان البلدة

البشير .... أخ الحاج البوزيدى

مصباح .... مؤدب الحى

الأم .... زوجة الحاج أحمد

فوزية .... زوجة الهادى

عبد العزيز .... موظف بمصلحة البريد

أحمد .... شاب مثقف انقطع عن التعليم

الرجل الأول .... أهالى السجناء

الرجل الثانى ....

الرجل الثالث ....

جندرميان .... رينو

آلان

(الفصـــل الثـــانى) (*)

غرفة من غرف احواش طبقة الفـلاحين الاثريـاء الذين لا يأبهون بتنظيم غرفهم وترتيب أثاثهم • فالجدران مطلية بالجير المشهب ، ومرشقة بالمـواعين الاثرية ، • من مكبات من السعف ، وقصاع من الطين ، وفناجين من الفخار ، تتدلى فوق صور بعض الاولياء والانبياء • وقد ثقـل السقف بـرزم البصـل والثوم • بينما تكدست فى الزوايا اكيـاس القمـح والشعيـر ، واختلطت القوارير بالاحذية والجلود والزرابى •

هناك ثلاث صور مكبرة لافراد العائلة ، هى التى علقت بنظـام فى صـدر الغرفة ، احاطت ببعضها بيوتات دقيقة من خيوط العنكبـوت ، مما يـدل على اهمال وعدم اعتناء • تحتها جلس الحاج احمـد البـوزيدى فى مظهر الفلاحين القساة الذين يتصنعون الابهة ، تتقد عيناه جهلا وخبثا • وقد جلس أمامه ابنه التجانى ، الشاب الحائر الذى يعيش التناقضات والصراعات •

* * *

الحـــــاج : يجب ان تعتذر العائلة للمسيو ميشال ، وتتبرأ لديه من فعلة الهادى • انها خطيئة لا تقدر •

التجـــانى : وماذا يعنينا منها ؟

الحـــــاج : سمعة العرش ، سمعـة العـائلة ... الصلـة التى تـربطنا بالمراقب ! !

التجـــانى : كل ذلك لا علاقة له بالهادى •

الحـــــاج : أليس صهرنا ؟

التجـــانى : (فى جفـاء اكثر) : وماذا يتـرتب عن ذلك ، هل حـرضته العائلة • من قال له افعل .... هل .. هل ..

الحـــــاج : رأيه الفاسد، عقله، فكره• الكتب التى امتلئ بها بيته، وحرمت سعادة ابنتى • نحن نعرف الداء مسكينة فـوزية ، حرمها من كل نعمة ، ومن كل خير ، لا أكل ولا فراش • ولكن هذا كله لا يحفظ سمعة العائلة وشرفها • هل يعـرف المـراقب هذا ، قطعا لا ...

التجـــانى : دعك من التفكير فى الاشياء التافهة • فهذه لا تمس العائلة •

الحـــــاج : تعتبر كلامى تفـاهة ؟.. قضيت ستيـن سنـة على الارض ، وعشت حربين عالميتين ، والقنابل تطاردنى فى الحقول لأنتظر منك ، من ابن انجبته من صلبى ، كلمة مثل هذه •

(*) راجع الفكر ـ العدد 8 ـ ماى 1967 ـ السنة 12 •

التجــــانى : لم اقصد ان ٠٠٠٠

الحــــاج : وتريد ان تقنعنى بأننى أخطأت الفهم ٠

التجــــانى : رأيى بكل وضوح ، هو انك رجل من اعيان البلدة ، وصاحب كلمة فى العشيرة والذهاب الى دار المراقب يسيىء الى سمعة عائلتنا ويحقرها فى نظر الناس ٠ هذا بكل اختصار ٠ هـذا ما اردت ان اقول ٠٠٠٠ هذا ٠٠٠ ما ٠٠٠

الحــــاج : وتتمادى فى بلادتك ٠ تقدم لى النصائح ٠ هى دار المراقب اصبحت مشينة ، تحط بالكرامة (يستنجد ببصره بصور احد الاولياء المعلقة على الجدار) ٠ — ماذا نفهم من هذا الجيل ؟ بماذا يفكر اذا كان الجلوس مع الحكام إهانة ؟٠ اعوذ بالله اذهب من امامى يا طفل ٠

التجــــانى : لماذا تغضب هكذا ما الداعى لذلك ؟

الحــــاج : (وهو يتجاهل كلامه) بعثت بك الى المدرسة لتتعلم ٠ فأصبحت تناقشنى ٠ كأن المدرسة لم تعودك احترام الوالدين٠ والاخذ بآراء من هم اكبر منك سنا وتجربة ٠ انا لا اسمح لك بعد اليوم مهما كبرت ، ان تفوه امامى باية كلمة ٠

التجــــانى : ولماذا ٠٠٠

الحــــاج : يا قليل الحياء ، وسبب الكوارث والمصيبات ، طردوك من المدرسة وكان المسيو ميشال هو الذى اعادك اليها ٠٠ نعم سافر من اجلك الى العاصمة ٠ الا تذكر ؟ لا ينس الفضل سوى الجحود وتأتى الاعياد والكرنفالات ٠ فتكون انت من بين من يبوؤون الصدارة والصفوف الاولى ٠ يا ناكر الجميل ٠٠٠ أدخلت علينا الرزايا ، ولا تريد ان تشارك العائلة فى اصلاحها ، ٠ وتعتبر الاعتذار لمسيو ميشال حطا من قيمة العائلة ٠

التجــــانى : ٠٠ اية رزايا ؟ ادخلتها على البيت ٠٠٠ اية كوارث ؟٠٠٠

الحــــاج : هذا الهادى الذى غششت عائلتنا به ٠ قلت لى انه من احسن زملائك فى الدراسة وأوضحهم سلوكا ٠ (بتهكم) وها هو اوضحهم سلوكا حقا ٠

التجــــانى : انا ما زلت مصرا على ذلك ٠ لن يتغير رايى فى ان الهادى رجل طيب ومثالى ٠ ولكن الرجال يخطئون مع الأسف (بتأثر) لا بد للانسان من خطايا ٠

الحـــاج : معناها انك تبرر موقفه وتتخذ الاعذار له · معناها انك تفوقه في التنكر لصانعي الخير والجميـل · للرجـال الذين يملكون السجون والقانون والقوة ، والاعلام والدبابات ، والسيارات انتم طائشون يا اطفال ·

التجـــانى : (فى استفزاز) هؤلاء الذين تتحدث عنهم · نحن اعطينـاهم الاعلام والقوة ···

الحـــاج : (باستغراب) وتفتح فمك بالكلام · عجبـا ان تكون انت من ابنائى · اعطيتموهم كلام على قرماش ··· البطاقات الحمـراء من بيت الهادى ··· دوسيات الشتم والسباب والفضائح ·· اعطيتموهم هذا · امن هذا صنعوا الدبابات والطائرات ؟ امن هذا صنعوا السيارات ؟

التجـــانى : ومن هذا صنعوا المجد الذى تتحدث انت عنه ·

الحـــاج : غريب غريب · نفس الكلام ··· نفس المنطق ·· أأنت منى ؟ من ابنائى · من عائلتى ·· احمد البوزيدى ·

التجـــانى : ومن اكثرهم حبا لك وغيرة على سمعة العائلة ·

الحـــاج : قله لغيرى هذا الكلام · اما انا فقد جربت فكـرك ، ومحـوت اسمك من ذاكرتى · تقول هذا يا قليل الحياء ، وتتجاهل اخاك عبد العزيز الذى مضت عنه ست سنوات ، منكبـا على فلـح الارض ، لا يبرح الحقل الا فى العيدين · وتتجاهل اخاك عمار الذى يكاد لا يرفع عينيه مرة واحدة عن الارض · ولا يراه احد فى الشوارع متسكعا مثلك ··· تقـول هذا وتنسى اثـواب الصوف التى أدمت جلدى ، من اجل ان أكونكم وان اجمع لكم ثروة · انظر الى اثوابى الصوف التى ادمت جلدى · انظر الى امك · الى الحوش المملوء بالبقر ··· يا كافرا بالنعمة ·

التجـــانى : (يفتح فمه بالكلام · ولكن الحاج يتمادى فى الحديث فيسكت) انا ···

الحـــاج : لقد كنت ادخرك لهذه المفاتيح (يشير الى رزمة منها) تغلـق مخازن المون ، والاقجار المليئة بالدفاتر والفاتورات ، وتحرس ممتلكات العائلة ، وارث اخوتك ··· ترهن ذهب من تشاء من النساء وتعطف عمن تشاء من الرجال · تخـرس الافـواه · وتفتح كل ابواب السلطة · وها أنا اراك فى لحظة واحدة وانت تقوض آمالى وتقتلنى ·

التجـــانى : ولست اتراجع عن فكرة عدم الاعتذار الى المراقب ·

الحـــــاج : لتدب الشيخوخة والفناء الى اوصالى ، ولينفتح القبر لى · ماتت رغائبى · ماتت مع ضياع الابن البكر ، ماتت معك انت ·

التجـــانى : ولكن التجانى لا يزال حيا · ولن يموت ·

الحـــــاج : وماذا يعنى التجانى بدون الحاج · بدون حقول الرمان والتفاح ، والنخيل والابقار · بدون لقب عائلة البوزيدى · ثلاثون سنة تمشى على الارض لا معنى لها · سأعرف كيف أسلب عنك نظرات الاعجاب ، وانتزع منك لقب العائلة اذا لم تقم الآن وتذهب للاعتذار لمسيو ميشال عن فعلة الهادى ·

(المشهـــد الثـــانى)

(ينهض الحاج ويغادر الغرفة ، وهو يتكركر فى برنسه ، عليه سيماء الغضب والانفعال · بينما يظل التجانى قلقا · يهم بالخروج ثم يتردد · الى ان تدخل عليه أمه) ·

الأم : أبوك خرج غاضبا ·

التجـــانى : لقد اصبح مجنونا · خرف · يريدنا نسخة منه ، عفاريت سليمان التى تأتمر بامرته قال لى ان علينا ان نعتذر للمراقب عن فعلة الهادى ·

الأم : حدثنى البارحة عن فكرته هذه ·

التجـــانى : هذا غير معقول يا أمى · هو حط بقيمتنا · أهل البلدة يكفيهم ما شاهدوه منه ، من احتقار وظلم · عشرون سنة وهو وصى على شهادات الفقر ، والاستحسان ، و « بنوات » الخبز ·

الأم : واذا كان ذلك من اجل خلاص الهادى فلماذا لا تفعل ؟

التجـــانى : هو فى مضرته قطعا ·

الأم : كيف · هذه اشياء لا اعرفها ؟

التجـــانى : الهادى لا يخاف السجن · وانا اعرفه جيدا · ما ضر والدى ان يبقى الهادى فى السجن · ما يدعوه لان يحمل نفسه ويحملنا مشقات الاعتذار ·

الأم : واختك إلام تتعذب وتشقى ·

التجـــانى : قابلتها ، وتحدثت معها وهى مقتنعة بفكرتى · هى معى فى كل ما اقول ···· دعيها ·· دعيها ··

الأم : بأن تترمل الى نهاية عمرها ·

التجـــاني : وهل السجون تبقى منغلقة الى ما لا نهاية له ؟

الأم : ما سمعت باحد خرج منها .

التجـــاني : ولكنك لم تسمعي قط باحد دخلهـا . لست ممـن يسمعـون بالمساجين .

الأم : دائما تتهمني يا ابني ، كأنني لا اعرف ولم اسمـع بصـالح الفرطاس ، بو عبشة والزاوي .

التجـــاني : هؤلاء ليسوا مساجين . أولئك مجرمون ، مبعدون عن المجتمع لانهم اساءوا فيه الى قانون الجوار ، واما المساجين الحقيقيون فهم امثال الهادي ناس يكرهون الباطل ، والسرقة والشر .

الأم : وأنت أيضا كالهادي . تتحدث بهذه اللغة التي لا نفهمها (في استسلام وطيبة) الله يطلق سراحك يا مسكين .

التجـــاني : دعوة الخير افضل من سماع رجل مجنون لا يفهم .

الأم : ولكن أباك مفكر ومدرك . واتمنى لو انك تتبعه وتفهمه .

التجـــاني : وأحمل أخراج الرمان والبرتقال ، وقرب اللبـن والـزبدة ، والدجاج الى الفيلا . كل ما يتشهى أخي عبد العزيز ان يلمسه حتى مجرد اللمس بيديه . كل ما كان والدي يعاقب من اجله الحالية والفلاح ، ويحسب عليهم قطرات اللبـن المنسكب على الارض .

الأم : (ترفع بيديها في عفوية) المراقب يستأهل كل خير يا ابني . يشاور أباك في كل صغيرة وكبيرة في البلدة .... يحتـرم عائلتنا ... يجلها .

(تستدير الأم متجهة نحو الباب للخروج)

التجـــاني : (مغمغما مع نفسه) رباه لقد تكومت الاخطاء . تشعب الطريق بما فيه الكفاية .

الأم : (وهي تهم بالخروج) لا تعـارضه يا ابني . انه قـاس . أنا أعرف والدك ... لا تعارضه أنا أعرفه أكثر منك .

التجـــاني : وأنا اعرفه جليا يا أمي (يشير الى صـورته في الجـدار وهو يصافح المراقب المدني في احدى المنـاسبات) أليس ذلك هو والدي ؟. نعـم هو ذلك . عـار العـائلة . تمـد اليه يـدك وتصافحه ، مزيدا من توطيد اقدامه على ارضنا ومـزيدا من منحه الامان والاستقرار .

(المشهـــد الثـــالث)

(تخفت الانارة، ويسود صمت عميق، ينسحب على إثره صوت من الصورة · وربما شبح الأب الحاج أحمد البوزيدى ، وهو يبدو كبير السن ، مستطيل اللحية · فيخاطب ابنـه وكانما يرد على كلامه السابق) ·

الحـــاج : ومن انا لولاهم ؟ من الحاج أحمد ؟

التجــانى : أنت أبى · الرجل الذى انجبت تسعة ابناء ، زرعت بهم الارض خيرا وبركة ·

الحـــاج : الابناء يتطلبون الكثير والوفير ، والمستقبل ، وقد أمنت لكـم حياتكم ·

التجــانى : وسودت تاريخنا ·

الحـــاج : كلا · كلا لقد منحتكم المجد· أنظر إلى وأنا أصافح هذا الرجل· أتعرف من هو ؟

التجــانى : لا حاجة بى الى معرفته ··· اكرهه كما اكره ماضيك ·

الحـــاج : لكم تمنيت ان تأتى من العاصمة ، وبيــدك شهـادة تثبت بها قدرة العائلة على التقرب منهم فها أنت تخوننى وتحطم كلمـا أمليت فيك ·

التجــانى : وعما قريب ستشهد ما خبأت للمستقبل ·

الحـــاج : انك ابنى · اعرف من تتهدد · انا أبوك الذى تعزف الآن من اجله · الانشودة الخالدة (المـارسياز) ، وتمتد هذه اليد من وراء البحر المتوسط توشح صدره · انا أبـوك الحـاج أحمـد البوزيدى ، يعزف الطاقم العسكرى أناشيده النحـاسية لى ، ويهتف الشعب الفرنسى لاخلاصى ·

التجــانى : شعب الباستيل براء منك يا عدو فولتار ، وديدرو ، وعدوى أنا · عدو الملايين من ابناء تونس ، من عشاق الحرية ·

الحـــاج : كلمات على قرماش ··· حفظتموها عن ظهر قلب يا أطفال ·

التجــانى : (ينظر فى الوجهة الاخرى حيث توجد صورة أخته على الجدار ، ويتوجه بالكلام اليها فى حدة وانفعال) ··· تكلمى يا فوزية· ها هو يقف عاريا · قولى كل شيء · يا طالما كنت تحسين مثلى ومثل الهادى ·

فــوزيــة : (تنسحب صورتها وصوتها من الجدار · تتكلم) سامحه الله ، علمنا ان نخاف منه كثيرا ، وان نتجنب عينيه الناريتين ·

التجـــاني : انظرى اليهما يا فوزية ، أما ترين كم هما حسيرتان مقهورتان. اختفت عيناه يا فوزية . مات الشرير فى اعماقه .

فـــوزيـــة : مسكين لحيته مصبوغة بالحناء ، استطالت على صدره . هكذا كان يتخيل نفسه كلما تحدث عن الجنة . من فعل هذا به ؟

التجـــاني : آه لو كان ثمة من يقدر على ان يفعل به . أن يغيره .

فـــوزيـــة : إنا ما اعتدنا أن نراه فى بيتنا على هذه الصورة .

الحـــــاج : حتى انت يا فوزية تتنكرين لأبيك . نسيت أيام كنت تلعبين عند نصف الباكيتة ، ونظرات اعجابك الطفولى ترمق وقارى. نسيت يدى وأنت تحكين انفك عليها ، وتتمرغين فى عطورها. نسيت المصوغ الذى اثقلت به اذنيك ورقبتك ، ويديك . كل ذلك لم تعودى تذكرين فيه أبـاك .... والهـادى من الذى انقذك منه وادخله السجن . اليس والـدك الذى هو أنا ؟.. كنت أؤمل ان تحتلى بعد سجنه فى بيت عمك ، مكانة مرموقة ، تحفظين الارث والدم ، وتصلين الرحم . كنت أؤمل ان أزوجك منصور ... ابن عمك منصور ، وتطلقين هذا الهادى .

فـــوزيـــة : (تطلق صيحة فزع) أنـت مجنـون . تفكـر بكـل هـذا . وتتكتم عنا .

التجـــاني : أرأيت يا فوزية ؟ ألم أكن أقول لك ؟

الحـــــاج : واكثر منه . سوف احرم التجانى من الارث ، واكتبه باسمك. حتى عبد العـزيز وعمـار ، واخـوتك الصغار ، خصصت لهم نصيبا أقل منك .

فـــوزيـــة : تريد أن تغـرينى (يتغير صوتها) لا . أبـدا لن ارتضى . الست أنا هى التى أسرت إليك بخبر الهادى .

التجـــاني : قولى له يا فوزية . قولى له كل شىء .

الحـــــاج : وكانت فرصة مواتية ، الفرصة التى لا أنساها ... يـا مـا اعجبت بك ، وانت تدلين بشهادة ضده لك الحق ، حرمك من النعم والخيرات . هل يمكن ان انسى ابنة مخلصة ؟

فـــوزيـــة : وفية لزوجها .

الحـــــاج : اتقولين هذا الكلام . اتقولين هذا ؟

التجـــاني : تلك هى الحقيقة . ذلك ما لا تعلمه .

فـــوزيـــة : هى الحقيقة يا أبى . انى لم اوش بالهادى ، ولم آتك بالبطاقات المزورة ، والاوراق والدوسيات الا بعد ان حدثنى التجانى عن

الخطر المحدق بهم · حدثنى عن اشتباه البوليس فيهم ، واتفقنا على خطة مدروسة ·

التجـــانى : وأنا الذى أمرتها بالتنفيذ ·

الحـــاج : يا خراب العائلة · ويا بؤس شيبى · تتفقون ضدى ؟

التجـــانى : وغدا سوف ننجى الهادى · نخلصه من السجن بكل ما أوتينا من استطاعة ·

فـــوزيـــة : ونوفى بما اتفقنا عليه ·

التجـــانى : سيكون · نعم سنخلصه ··· اتصلت بالمراقب ومـرقريت ، وانتهى الأمر · اتفقت معها · خدعتها · بدأت المسرحية بباقة من الورود · وستنتهى المسرحية بباقة من الورود ، نقـدمها للهادى فى حفل نقيمه بمناسبة اطلاق سراحه · أليس كذلك يا فوزية ؟

فـــوزيـــة : نعم كذلك سيكون كل ما تريد ·

الحـــاج : لن تحققا شيئـا دون رغبتى · لن يكون لكمـا ··· لن يكون ما دمت حيا ·

التجـــانى : نعم سيكون ·

الحـــاج : لن يكون ·

فـــوزيـــة : نعم سيكون ·

(المشهـــد الـــرابع)

(يسمع وقع ارتطـام خطى كثيـرة ، فتنسحب الصورتـان ، وتتلاشى الاصوات· يدخل الحاج ومعه رجلان· احدهما البشير البوزيدى أخوه · والثانى مؤدب العشيرة سى مصباح) ·

الحـــاج : (الى التجانى) انت ما تزال هنا · ماذا تفعل ·؟

التجـــانى : والى اين تريدنى ان اذهب ؟

الحـــاج : تسهر بالليل ، وتحلم بالنهار · ألديك ما تنصح به نفسك ؟

البشيـــر : السلام عليكم· (الى الحاج) ماذا هنالك يا حاج ؟ ماذا فى الجو·

مصبـــاح : السلام عليكم · (يجلـس على الارض يتحـدث بارتيـاح الى التجانى كأنه يعلمه بشىء خطير) ذهبنا اليه · وكان متفهما الوضع ، صافحنا فردا فردا بتواضع كبير ·

الحـــاج : ولم ينكب جاهنا ·

البشيـــر : حدثنا عن زيارتك له بالامس ، وعن باقة الورود التى اهديتها ····

الحـــاج : لامرأته !·

مصبـــاح : وقد وعدنا بانه سيفعل كل ما فى وسعه للاعتذار باسم العائلة والعشيرة للاوساط العليا ·

الحـــاج : وسنكتب كما اراد لائحة نستنكر فيها اعمال الهادى

مصبـــاح : وتبرع لجامع الغوث سيدى (حمد الله) بعشرين حصيرة من ماله الخاص ، وخمس ليترات من الزيت لتضوئة المسجد ·

البشيـــر : وافرد فقراء عشيرتنا ، باربعة اكياس من الدقيق ، وعشر قرصات من الشحم ·

مصبـــاح : (مقاطعا البشير) الشحم يا سيدى البشير ، شحم بغال ، محرم أكله ، واستعماله وادخاره ·

الحـــاج : دعك من الدعايات يا سى مصباح ، دعايات على قرماش · هل عندنا فى العشيرة من يعاف شيئا ولو كان شحم بغال ·

مصبـــاح : هى افعال الخير لا تنسى · نعم لا يمكن ان تنسى عند الله · هى مكتوبة فى لوح محفوظ ·

الحـــاج : (باعجاب) كنا تركناهم خارج سور الحديقة· عشرين شيخا ، ولمة من العجائز والاطفال وحالما دخلنا ، اوصيت عيسى بان يأمرهم باطلاق الزغاريد · وعندما اطلقوها فتح مسيو ميشال نافذة مكتبه واطل عليهم وابتسم مظهرا اعجابه بهذا الموكب · فكان ان أفردهم بكل تلك الخيرات والنعم· دقيق ، وشحم··· والوعود كثيرة ·

مصبـــاح : والذى لا يمكن ان يمحى من الذاكرة يا سيدى الحاج ، هو تواضعه · ما رأيت فى الناس مثله لطافة وابتساما ومرحا ·

البشيـــر : (يلتفت مشيرا الى الحاج باعجاب) الفضل فيه لهذه اللحية · ثم (يلتفت الى التجانى الذى يجلس واجما) أنتم الخلفاء ، سترثون كل هذه الهيبة ، وهذا الجاه ، وهذا الوقار ، وهذه الرجولة ·

الحـــاج : (مبتسما فى زهو وخيلاء) ولكم العاقبة والخير يا سيدى البشير ·

(تسمع اصوات وجلبة فى الخارج) ·

البشيـــــر : منذ الصباح وهم يتبعوننا الى كل مكان نـؤمه ، لقد وعـدهم والدك ، بان يوزع عليهم الدقيق حالما نصل الى المنزل ، وها هم ينتظرون ٠

الحـــــاج : اخرج اليهم يا مصباح ٠٠ اسكتهم ٠ لعلعة اصواتهم الباحة ، صاعدة الى عنان السماء ٠ قل لهم ليذهبـوا ويأتـوا غدا فى الصباح امام جامع الغوث ٠

(يخرج مصباح ، ويتواصل الحديث بين الحاج وأخيه) ٠

الحـــــاج : هذا الطفل افهمته بكل ما اتفقنا عليه ، ولكنـه لا يصغـى الى كلامى ٠ ارضى الله عنك يا منصور ٠

البشيـــــر : ابنى مسكين ، لا يعارض ولا يناقش ولا يحـاول ان يفهـم ، وبذلك اكتسب رضى الناس ورضى عمه ورضى أبيه ٠

الحـــــاج : الامر لله هذا التيجانى ادخل على حياتى شغبا جديدا ، فعوض ان يكون صديق منصور ، تجمعهما العائلة ، والدم ٠ ها انت تراه ضائعا ، مهموما ، لا يؤم البيت الا نادرا ٠

البشيـــــر : هو لم يعد فى حاجة الى ان نبصره ٠ تعلم وكبر وعرف اشياء كثيرة ٠

الحـــــاج : غير ما يمت لمصلحة العائلة بصلة ٠ يا ضياع ما بنينا وشيدنا فى الخيال (يشير الى صورة اخرى فى الجدار) تأمله عندما كان صغيرا وهو بجانبى ٠ هذه الصورة كلما نظرت اليها احسست بان الطفل الصغير ذاك انفصل عنى وتبدل ٠

البشيـــــر : (يتـوجه بالنصـح الى التجـانى) حـاول ان تنسى الهـادى وعلاقاتك القديمة معه ٠ ففى ذلك بعث للعائلة ٠ انه لا بد من ان يستمر الماضى فينا ٠ ولا بد من ان نتبنى افعالنا ، حتى لا تفلت الفرصة منا ٠

التجـــــانى : (مغمغما) ومن ينقذ العائلة من الورطة ؟

البشيـــــر : نحن المال ونحن الرجال ٠ سوف يموت الهادى فى السجن ٠ ولن يرى البلدة بعد اليوم وبذلك نكون قد تخلصنا جميعا من الورطة ٠ أهذه تسميها ورطة يا سى التيجانى ؟

التجـــــانى : الورطة٠٠٠ الورطة٠ انا اتحدث عن الورطة٠ مسكين الهادى ، الدقيق والزغاريد ، ولوائح الاستنكار ٠

الحـــــاج : هذا الطفل عندما يتحدث لا يكلم الا نفسه ، وبالفاظ ملوية غير مفهومة ٠ انت سمعته الآن يتحدث الورطة ، الو ٠٠٠٠ ولكن أفهمت شيئا مما قال ؟

البشيــــــر : هؤلاء اصبحوا يقولون اشياء لا نفهمها · جيل فتح عينيه على العواصم والسيارات والسهريات البقرة عندنا اسمها بقرة · وعندهم لها اسماء اخرى لا نفهمها · الحال انقلب ·
(« تدخل فوزية وبيدها صينية ») ·

فــــوزيــــة : (الى أخيها) لقد هيأت ادباشك ·

البشيــــــر : أين على خير ؟

التجــــانى : سفر الى العاصمة فى رحلة تستغرق يومين ·

البشيــــــر : فى الخير يا بنى ·

التجــــانى : اريد ان اقلع ضرسا مريضة ، نخرها السوس ·

الحـــــاج : وربما استبدل عقلا غير الذى يحمل ·

البشيــــــر : اما فوزية ، فهى ستسافر الى بيتنا · أليس كذلك يا حاج ؟

الحـــــاج : من غير شك ، تبدد قلقها ، وتشرح صدرها بين ابناء عمها ·

فــــوزيــــة : ما دام زوجى سجينا ، لا اقدر على الخروج من البيت ·

الحـــــاج : هى فرصة لتنشرى بعضا من الحزن الذى مـلأت به بيتنـا فى الشوارع والاحواش الاخرى ·

فــــوزيــــة : اخوتى لا يوافقون ·

الحـــــاج : اسمعت يا سى البشير · هناك ناس آخرون يحكمون المنزل معى ، لهم رأى يريدون ولا يريدون ، يوافقون ولا يوافقون · عجبا لهؤلاء ·

التجــــانى : حتى البيت لم يعد لنا حق فيه ·

الحـــــاج : (فى سخرية وتهكم) نعم لكم حق فيه · البيت الذى تتأهبون فى كل لحظة للانقضاض عليه وهدمه · وتتنازعون الـراى من شاد لكم الغرف فيه ، وتفتكون منه المشورة · غدا تذهبين الى بيت عمك لأستريح منك · لا اريد كلاما ولا مجادلة ، ومزيدا من الحزن على هذا الهادى ·
(تنسحب فوزية بينما يطل وجه الأم وهى تقول) ·

الأم : يا تجانى هناك من ينتظرك بالباب ·

الحـــــاج : لقد اصبحت اشترى فى كل شهر او شهرين حلقـة حديدية للباب ، من كثرة الطراق الذين يبحثون عن التيجانى ·

التجــــانى : غدا سوف اسافر ·

الحـــاج : كما تريد .

البشيـــر : مع السلامة يا بنى .
(يخرج التجانى ويبقى الحاج والبشير وحدهما) .

الحـــاج : تلك هى التربية المثالية ، الضغط القوة . عدم فتح باب النقاش معهم .

البشيـــر : أعجبتنى بالخصوص عندما ارغمتها على الذهاب .

الحـــاج : وهل كنت تتوقع غير ذلك منى ؟ أنا رجل قاس حتى مع نفسى كما تعرف ، لا ارحم وما تعودت ان اتلقى الرحمة من احد .

البشيـــر : وهذا الجيل يجب ان يؤخذ بالشدة . لقد فهمتك الآن اكثر .

الحـــاج : هى سوف تأتيكم الى هناك . حاول ان تلينها وترغبها فى الزواج منه .

البشيـــر : ان عيشة اقدر منى على اداء هذه المهمة .

الحـــاج : انت وعيشة او انتما معا قولا لها ان الهادى ذهب فى داهية ، ولن يخرج من السجن الى الابد .
(يستدرك) ومع ذلك فهى تكرهه بدون شك وانما اصطنعت ذلك امام أخيها .

البشيـــر : لو لم تكن تكرهه كيف تأتيك بالبطاقات التى ضبطتها فى جيوبه ، وتأتيك بالتقارير ، وتطلب منك ان توشى به .

الحـــاج : لست اشك فى انها تكرهه .

البشيـــر : ما فى ذلك شك .

الحـــاج : ابدا .

البشيـــر : شابة مثل فوزية ابنة عائلة واصل ، اعتادت ان ترى الحوش يمتلىء فى العشية بالاحمرة والفلاحين وفى الصباح بالابقار والحالبات ، تفارق الزبدة واللبن وترتضى بالعيش مع موظف بسيط يحمل خبزها فى قفة .

الحـــاج : انه داء أخيها . هو الذى زين لها فضائل العيش معه . حكت لى أمها عن كل شيء . والفضل فى استمرار حياتها فى ذلك البيت يرجع الى انا وحدى . لقد كان من حقى ان افصلها عنه فى أول يوم .

البشيــــر : وها هى الامور تنتهى بطبيعتها · لست ممن يصنعون الشر يا حاج ·

الحـــــاج : لاقى جزاءه ، جزاء الذين لا يحسبون للقوة والدبابات والسلاح حسابا (يشير الى صورته مع المقيم المعلقة على الجدار)· اتذكر المهرجانات يا سى البشير ، والطائرات التى لا يزال دويها فى الآذان وشخير محركاتها فى الاسماع · اتذكر تلك الصورة · أخذت لى مع المقيم العام · معه هو بالذات يوم وشح صدرى بالاوسمة أمام الآف الاعين من الاهالى ، وطاقم الموسيقى ، وصفوف العسكر اتذكر ذلك اليوم يا سى البشير ؟·

البشيــــر : نعم · كنت فى صف الجالسين على المنصة · وكانت الاصابع تمتد نحوى مفتخرة ، هذا هو عمى البشير هذا أخوه الحاج أحمد البوزيدى · كيف لا اذكر الشرف والفخر الذى نالنى · كيف لا اذكر يوم أخى ·

الحـــــاج : والى الآن ، ما من احد يرانى من الجنود ، والصبايحية والكمباطا الا ويقف لتأدية التحية العسكرية لهذا الصف من الاوسمة المعلقة على صدرى · كلاب يريدون لنا احتراما اكثر من هذا ·

البشيــــر : والله لا اعلم ·

الحـــــاج : قم معى لتأخذ فوزية معك · لن يراها الهادى بعد اليوم · يريدون الفتنة وكلام على قرامش ستتزوج فوزية منصور ابن عمها رغما عن التجانى ···· الموسيقى ··· شخير الدبابات والطائرات ··· الاوسمة ··· قم معى · قم معى يا سيدى البشير ·

(ستـــــار)

الفصل الثالث فى العدد القادم

است ربي ..

شعر : لطفي عبد اللطيف

والعـــذاب المـــر ظلت تســـومنى
هـــل أنـــت ربى ؟
ثـــم ان كنتـــه !!
وان آمنت بك !!
فـــلأى ذنـــب ؟
والسؤال المر فى قلبى ودربى
رغم انى كنت إذ ما انت تهفو
دون ان تدرى قلبى
رغم انى كنت عبدا لتقاك
وأصلى عابدا عينيك صوفى الامانى وكيانى
صلوات وابتهالات وشوق للقاك
رغم انى .. رغم انى
كم من البذل حبيبى لا أمنه
عندما ابقاك فى القلب من الحب احنه
كان بحرا ضعت فى امواجه
وفتحت أرجاء الفؤاد له فظلت فى تفانيها تنكه
والعذاب المر ظل يسومنى ويقد حبى
أو ترضى يا حبيبى ان تمزق دون ان تدرى
بانك انت حبى ؟
فلتمزقه اذا كان أنا
لكنه انت اتدرى ؟
فانا ما صرت الا عندما لاقيت فى دنياك عمرى
وبه فتحت وردى ورياحينى وعطرى
واماسى الجميلة
والطفولـــة
والرجولـــة
وامانيها التى ترتاح فى شفتيك بكرا وخجوله
وعلى نهديك فيضا
كارتعادات الوجود بالف زهره

وعلى عينى نظره
هى عالمك الالهى الخرافى الذى أطفأت بدره
ونجوما فيه فطرتها هواك كانها لم تر غيرك
وطريقا ينتشى خمرته كانت خطاك وان صحا من سكره
أتراه قد يالف غيرك ؟
والعذاب المر ظلت تسومنى
وانا اعب باسهد الاكواب غدرك
وانا حبيبى لم ازل اهوى عيونك
لم ازل اهوى قرابينى التى تدفىء صدرك
لم يزل فى نبض قلبك نبض قلبى
رغم انك لست ربى
وحنانى البكر والاشواق والوجد مهبى
وبعينيك دموعى وبكائى
لم تزل كل حياتى صورة منك وصوره
دونها طيف انـا
أخفت يد الليل سطوره
والعذاب المر ظلت تسومنى
للحب ما احلى عذابا من عذابك
آه ما اغلى بقايا من دمائى فى شبابك
وقصيدا يتلوى تحت بابك
وارتعادات بقلبى وشعورى
وغـــرورى
وتلاشى اذا ما تهت فى دنيا اقترابك
والعذاب المر آخر ما تبقى يتلظى
خلف طيف من سرابى وسرابك
انما جيء كى ترى فيه على الاطلال قلبى
وهو لا زال ولا زالت به ايام حبى
بعض امس لم يزل يغشاه من حزنى غروب
ومصير الصبح يا حبى غروب ٠

لطفى عبـد اللطيف

الفن بين الصمم والببغائية *

بقلم : الحبيب إبراهم

– 6 –

التـزام الفـن أولا

لا يكفي – إذن – أن يكون الالتزام نابعا من النفس ليكون أمـرا طيبـا . التلقائية لا تكفى (1) .

(1) • اقترح كانابا تعويض التلقائية بالمسؤولية أو ربطها بها . ولست أرى مانعا من تأييده . لكنى أفارقه فى محتوى الكلمة . يـرى صـاحبنا أنها مسؤولية إزاء الطبقة الكادحة Prolétariat وأرى أنها مسؤولية إزاء شيئين : 1 – الفن ومقتضياته

2 – ذات الفنان : تلك الذات المتفتحة على **المجتمع كله** بما فى ذلك العامل الكادح والأنانى الجشع . فبقدر ما يستحق العامل التنـويه والتحريض يستحق الانانى معالجة متواصلة تعتمـد على التأثير والصبر دون ملل أو يأس . ثم إن كليهما فى حـاجة إلى تسـديد الخطى صـوب الأهداف الانسانية الشاملة . هذا عوضا عن إثارة الصراع ثم منـاصرة المغلوب ! إذ ما دمت قد أثرت الصراع فلا بـد من غـالب ومغلـوب ! ! ولا أعتقد أن الغالب ظالم دائما . بل أعتقد أن الظالم هو مثير الصراع ! قال ماشينو : « يجب أن لا نخجل من الاعتراف بأننا خونة إن كنا نخون البورجوازية من أجل البشر » .

Jeau Kanapa : Situation de l'intellectuel P. 211
Editions Sociales - Paris - 1957
Maurice Maschino : L'engagement P. 93
F. Maspero - Cahiers libres n° - 19 - Paris - 1961

• واحتج جعفـر مـاجد فى دفاعه عن قصيد « النهد » بأقوال الاستاذ محمود المسعدى ومنها : « إن كل حصر أو ضغط أو توجيه للفكر لا يكون فيه للفكر إلا الوبال والموت » وهو احتجاج فى غير محله . فالقضية هنا قضية الفكر وهى فى « النهد » قضية الاخلاق . هذا تحويل لحقيقة المشكل وتغطية له . وليس خافيا أن تقييد الميول الحيوانية ليس تقييدا للفكر بل تحريرا له .

(انظر : مجلة « الفكر » – تونس – ماى 1964 – ص 89) .

• وكذلك فعل الزغلامى حينما جعل من الدعوة إلى التزام الفن والاخلاق دعوة إلى التزام المجتمع والاشتراكية .

(*) راجع الفكر – السنة 12 – العدد 8 – ماى 1967 .

اتفق الناس بتونس على أن إلزام الفنان إجرام · لكنهم أغفلوا نوعا آخر من الالزام · اغفلوا إلزام الفنان لفنه · تحميله ما لا طاقة له به · تكليفه بشغل غير شغله (2) ·

الالتزام الحق هو ذلك الذى تفرضه الحاجة ولا ينوء به ظهر الفن · والفنان الفنان من يميز حاجيات المجتمع خدماته الفنية · وهى غير خدمات الفلاح وغير خدمات المذيع (3) ·

نعم · على الفنان أن ينظر · هذا واجبه · هنا نؤيد دعاة الاتصال ·

نعم · للفنان أن ينظر بعينه ويحكم بعقله ويشعر بقلبه · هذا حقه · وهنا نؤيد دعاة التعبير (4) ·

---

(2) شنت الحكومة الصينية حملة لاقتصاد الوقيد · لا أحسب أن الفنان يطيق أو يستطيع أن يقوم فيها بدور فنى حتى لو أراد ذلك · فالفن عاجز على نقل حمولة من الوقيد ! ولا أحسب أنه قادر على أن يتبنى العدوان الصينى حتى لو تطوع لذلك ·
الفنان كغيره من البشر يمكن أن يزيغ عن سبيل الانسانية · فتكون له نوايا مجتمعه المعتدى · لكن الفن يحرن ويثبت رجليه على طريق الانسانية ولا يزيغ عنها إلا إذا وقع جره جرا فأصبح مسخا · الفن عاجز عن نقل حمولة من الدماء ! !
التزام الفنان الصينى عدوان مجتمعه على سبيل المساهمة فى العمل الوطنى التزام يرفض الفن أن يباركه ·
لذلك قال الاديب التونسى محمد مزالى ـ مدير مجلة « الفكر » ـ متحدثا عن الأديب : « له وعليه أن يحتج ويتأثر من جميع مظاهر الشر ومن جميع مظاهر الطغيان الانسانى أو اعتداء الانسان على أخيه الانسان فى أى مكان من الدنيا » ·
محمد مزالى : الأدب العربى المعاصر ـ ص 259 ·
منشورات مجلة « أضواء » الباريسية ـ 1962 ·

(3) قال كانابا متحدثا عن الفنان : « عملة الموانىء والفلاحون وعملة المصانع يعملون **من أجله** » وأبرز العبارة الأخيرة ـ وأنا أؤيده لكنى أسأله : « أى نوع من الخدمة تريد من الفنان ؟ إن كنت تريد عملا فنيا فالفنان لا يريد غير ذلك · وهو مستعد أن يعمل **من أجل** كل من يعملون من أجله وحتى من لا يعملون · وإن كنت تريد عملا آخر فابحث لك عن رجل آخر · فان أراد الفنان أن يتبعك فالفن لا يريد » ·
Jeau Kanapa : Situation de l'intellectuel P. 205
Editions Sociales - Paris - 1957

(4) فقد يعمى الناس كما عميت قبيلتا عبس وذبيان · وقد يرى الفنان ما لا يرون كما رأى زهير بن أبى سلمى· وبذلك يشرق الفن على دنيا الناس من فوق المذاهب والرطانات · وبذلك أيضا يكون رضى الذات الفردية وربح

وهنا يلتقى الواجب بالحق فيتعانقان ٠

لكن هذا اللقاء يجب أن لا يكون مؤامرة ٠ لكن هذا العناق يجب أن لا يكون خيانة لمقتضيات الفن ٠ هذا ما نلفت إليه نظر الفريقين (5) ٠

الطين غير صالح لصنع الطائرات ٠ والملعقة غير صالحة لحمل الحجر ٠ ليس هذا عيبا ٠

الحمار عاجز عن حمل الأطنان ٠ هذا العجز ليس عيبا فيه ٠ هو خاصية فيه ٠ والرجل الذى يتجاهل هذا العجز فيحمل حماره جبلا رجل مجرم ارتكب إثم إلزام شنيع (6) ٠

المجتمع ٠ نقول « نعم » لفن كهذا ونقول « لا » لأى شىء آخر يتقمص ريش الطاووس الفنى باسم التحرر أو باسم الالتزام ٠

(5) Alain Robbe - Grillet - Pour un nouveau roman P. 41
Gallimard - Collection « Idées n° - 45 - Paris - 1963

قال ڤوبرى : « الشخص مهدد فى حريته بزيغ الارادة أو بفقدانها » ٠ لا يكفى ـ إذن ـ أن يكون الفنان مريدا ٠ ينبغى أن يكون مريدا للخير نحو مجتمعه ونفسه وفنه بما يراه ويراه المجتمع والفن خيرا ٠ على جعفر ماجد أن يعلم أن الارادة لا تكفى ليكون نظمه فنا ٠ لا بد له من الحصول على موافقة الفن ٠ وهو يرفض أن « يعبر » عن الميول الحيوانية ٠ وعلى الزغلامى أن يعلم أن الواقعية الملتزمة لا تكفى ليكون الانتاج فنا ٠ لا بد له من الحصول على موافقة الفن ٠ وهو يرفض أن يحمل مشاعل لا بد لها من الانطفاء بانتهاء مهمتها ٠

Ivan Gobry : La Personne P. 72
Presses Universitaires de France.Collection «Initiation philosophique»
Paris - 1961

(6) نعت « المومس » الذى ذكره الزغلامى عن دوهاميل يصح على بعض أنواع الفن الملتزم بقدر ما يصح على بعض أنواع الفن المتحرر ٠ فهو فن وقع امتطاؤه فى سبيل أغراض بعضها عام وبعضها خاص ٠ هو مطية فى الحالتين ٠ بل هو أقرب إلى المومس المشاعة فى حالة الواقعية الالتزامية ٠ اتخذته أنت **واسطة** فى علاقاتك الغرامية مع المجتمع واتخذه غيرك **واسطة** فى علاقاته الغرامية مع ذاته النرجسية ٠ فلا هو فن هناك ولا هو فن هنا ٠
الفن إما أن تسايره فتكون فنانا وإما أن تطلب منه مسايرتك فيحرن ويدعك تكون شيئا آخر ٠
عليك أن تبدأ بدرس عقائد الفن قبل أن تدرس عقائد المجتمع وعقائد الفنان ٠ عليك أن تؤمن **بعقيدة الفن** قبل غيرها إن شئت أن تكون فنانا ٠

والرجل الذى يحمله أكياسا من القمح بدعوى أنه فعل ذلك ليحملها إلى الجائعين رجل لا يقل عن الأول إجراما · ولا عذر له أمام خالق ذلك الحيوان الابكم · النية لا تكفى · الرجل الرجل من تبين طاقة حماره فحمله وسعه · والفنان الفنان من تبين طاقة فنه فحمله وسعه (7) · بدون ذلك يكون الارهاق والانبطاح فلا حديث بعدئذ عن فن ودور ووظيفة ورسالة و و و ···

قيل : إن شئت أن تتحدث عن انكلترا فتذكر أنها جـزيرة · وأقول إن شئت أن تتحدث عن الفن فتذكر أنه **هـو الحـر** حقا وواجب قبل الحديث عن حرية الفنان وواجباته نحو ما شئت ومن شئت ·
يمكن أن تقيس الافراد والمجتمعات بمقياس الفن لكن لا يمكن أن تقيس الفن بمقياس الافراد والمجتمعات ·
ولو كانت القضية قضية الفنـان وحريته لأيـدت Maurice Thorez الكاتب العام للحزب الشيوعى الفـرنسى سـابقا وهو الذى سبقك إلى القول بحرية الفنان · لكنى لا أؤيده ولا أؤيدك ·
لا أومن بحرية الفنان إزاء الفن · ولا تعدو حريته ميدان التفنن · عبقر لا يساق ولا يسام سوم العبيد لا من طرف صاحبه ولا من طرف ثالث · أما إرادة التدريب على الخلق فخرافة ·
Revue «La Nouvelle critique» n° 80 - Paris - Decembre 1956 (couverture)
Revue «Diogène» n° - 36 - Paris - oct - nov - dec - 1961 - P. 106
عمار الزغلامى : نحو أدب هادف ·
جريدة « الصباح » ـ تونس ـ 12 مارس 1964 ·
(7) لا يكفى أن « يصاحب » حديثك مأساة الساقية أو بنـزرت أو فلسطين أو بور سعيد أو أو ··· ليكون فنا ·
وقد نقل الشاعر العراقى الفقيد بدر شاكر السياب بيتين من النظم عن فلسطين هما :

فلسطيـــن لك المجـــد وللمجـــد فلسطيـــن
من الشـرق الى الغـــرب تحييـــك الملاييـــن

وآخر عن الثورة العراقية :

فالعـراق الحـر فى وثبته يحسن الـوثبة صيفا وشتاء

وقال متألما : « إن هذا البيت حظى بـدوى من التصفيق والهتاف قل أن يحظى به بيت شعر » ! قد تقول إنه شعر ينقصه الشعور وتمـر مـر الكرام ·
وأقول : كلا ! إنه كلام إنسان مستبد ألزم فنه ما لا يطيق من الركاكة · قد يكون حسن النية نحو الموضوع ونحو المجتمـع · لكنه التـزم ـ فى الفن ـ ما لا يلزم ليكون فنا ·
والنتيجة هى أنه ضيع الفن بدون أن يخدم « الأهداف النبيلة » التى كان ينوى خدمتها · ذلك أنه نسى أن يستشير الفن ! !

لا عذر للفنان أمام صرامة التاريخ (8) ٠

فان برأته المحكمة الابتدائية ـ محكمة النفس الفردية التى استجاب لرغائبها ـ وإن برأته محكمة الاستئناف ـ محكمة المجتمع الذى التزم رغائبه ـ فقد لا تحول تلك التبرئة دون الحكم عليه بالاعدام من قبل محكمة التعقيب ـ محكمة الفن الذى حمله ما لا يطيق ولا مرد لحكمه (9) ٠ نعم ٠ الفنان لا يموت مقتولا بل يموت منتحرا ٠

فــن الأزمـــة

قال عـلى شلفوح وغيره من التونسيين (10) وقال محمد برادى سكرتير

أراد أن يتحكم فى الفن ويمسك بناصيته فلم يحصل آخر الأمر إلا على فخذ الجندب ٠ أما الجندب نفسه فقد طار ! !
هذا مثال عن الارادة الزائغة التى تؤدى إلى ما يؤدى إليه فقدان الارادة ٠
بدر شاكر السياب : الأدب العربى المعاصر ـ ص 239 وما بعدها ٠
منشورات مجلة « أضواء » الباريسية ـ 1962 ٠
عمار الزغلامى : حول خواطر فى أدب العصر ٠
جريدة « الصباح » ـ تونس ـ 9 أفريل 1964 ٠

(8) أميز هنا بين التاريخ L'Histoire والتاريخ الصغير La petite histoire . وأجزم أن السبب الذى جعل من الأدب العربى أدبا إقليميا أنه ينتمى إلى التاريخ الصغير٠ شأنه فى ذلك شأن أدب البلاطات فى كل عصر ومصر ٠

(9) الشعر العربى ملىء بالخصومات السياسية الناطقة باسم الملل والنحل والاحزاب ٠ لكن الشعر السياسى ـ مهما كان لسانه ـ دفين الكتب لأنه لا يهم إلا المؤرخين ٠ ذلك حكم التاريخ ولن تجد لحكمه تبديلا ٠

(10) عمار الزغلامى : نحو أدب هادف ـ جريدة « الصباح » ـ تونس 12 مارس 1964 ٠
حول خواطر فى أدب العصر ـ جريدة « الصباح » ـ تونس 9 أفريل 1964 ٠
على شلفوح : دعاة الهزيمة ـ جريدة « الصباح » ـ تونس 16 أفريل 1964 ٠
أحمد الشابى : ازمة الانتاج الفكرى التونسى ـ جريدة « الصباح » ـ تونس 19 مارس 1964 ٠
عمر عبد البارى : الالتزام والعمود ـ جريدة « الصباح » ـ تونس 23 أفريل 1964 ٠
مجلة الاذاعة : ادبنا يسير بخطى ثابتة نحو الاشتراكية ـ عدد 125 ـ تونس 6 أفريل 1964 ٠

رابطة الكتاب فى المغرب (11) وقال أحمد بن بلـة الرئيس الجزائرى السابق فى توجيهات أبداها لأعضاء اتحاد الكتاب الجزائريين (12) بأن المجتمع العربى يجتاز أزمة حادة من أزمات النمو وإن على الفنان أن يساير الزحف الجماهيرى.

1 – اتخاذ تخلف المجتمع العربى مبررا لتجنيد الفنان تبـرير لا يقنـع أحدا . ذلك أن المجتمعات متخلفة دائمـا . هى متخلفـة ما دامت لها آمـال تنشدها وما دامت لها أهداف لم تبلغها . فهى – إذن – متخلفة عن بلوغ تلك الآمال والاهداف .

2 – ألفنا إطلاق التقدم الاقتصادى على كل الميادين فنعتنا امريكا وروسيا وأوروبا بالتقدم الشامل . فهل نحسب العدوان على حساب التقدم ؟ والسباق نحو التسلح ؟ والأنانية الجشعة ؟ والتمييز العنصرى ؟

هذه الشعوب المتقدمة اقتصاديا شعوب متأخرة إنسانيـا . بل إن تقدمها النسبى قائم – أساسا – على ذلك التأخر الذى يحافظ على الفوارق بينها وبين الشعوب الفقيرة . أنانيتها الجشعـة هى التى جعلت منها شعوبـا معتـدية فمتقدمة اقتصاديا . ثم انه لولا تخلفها النفسى ما كان بالارض مرض وما كان فقر وما كان جهل . ثروات الشعوب الصغيرة المنعـوتة بالتـأخر تنفـق فى التسلح . أهذا هو التقدم الحقيقى الذى ننشده أم ننشد تقدما إنسانيا شاملا يشارك فيه الفنان بقسطه الفنى ؟ ثم أليست هذه الشعوب المتسببة فى تأخرنا والعائقة لتقدمنا أحوج منا إلى إنتاج فنى يصلح ما تخلف من وعيها ؟

3 – اجتازت ألمانيا واليابان وإيطاليا أزمات حادة . فأين إنتاجهـا الفنى المساير لتلك الأزمات ؟ أين الفن النازى والفاشى ؟

الأرض اليوم تلاحمت أجزاؤها أكثر من أى وقت مضى . فان كان على الفنان أن يساير شيئا أليس عليه أن يساير زحف الانسان فى كل مكان ؟

أليس على الفنانين أن يوحدوا جهودهم فى سبيل الضرب على أيدى العابثين أيا كانوا وأينما كانوا بتلقيح مجتمعاتهم نفسها ضد الفساد بأنواعه ؟ (13)

ألا يمكن أن نتحدث عن التمييز العنصرى بتونس بدون أن يكون بها تمييز

---

(11) محمد برادى : الادب العربى المعاصر – ص 263 .
منشورات مجلة « أضواء » الباريسية – 1962 .
(12) أحمد بن بلة : جريدة « الصباح » – تونس – 23 أفريل 1964 .
(13) محمد مزالى : الأدب العربى المعاصر – ص 259 .
منشورات مجلة « أضواء » الباريسية – 1962 .

عصرى ؟ ألا يمكن أن نتحدث عن أخطار السباق نحو التسلح بتونس بدون أن تكون مشاركة فى ذلك السباق ؟ ألا يمكن أن يعتبر ذلك خدمة للمجتمع التونسى نفسه ؟ ألا يمكن أن يعتبر ذلك تلقيحا ؟ ثم أليس التلقيح أفضل من العــلاج ؟

نعم ٠ لقد كنا نطالب بهذه الخدمة الفنية لو كان الفن يخضع لشىء ٠ لكنه لا يخضع ولا ينقاد ٠ هو إما فن وإما لا شىء (14) ٠

* * *

الفن من نفس الانسان ٠ ونفس الانسان كالزئبق سريعة الانزلاق سريعة العطب ٠ الفن كالجندب (البلالة) حسب تشبيه مارون عبود ٠ إن أجبرته على البقاء بيدك ترك لك فخذه الجافة وطار ٠

هو لا يخدم شيئا ٠ ليس وسيلة لشىء ٠ لا يخدم غرضا برانيا خارجا عن الانسان ٠ هو من الانسان وإليه ٠ فلا خادم ولا مخــدوم ٠ هو من الانســان المنتج والمستهلك وإلى الانسان المنتــج والمستهلك ٠ وقد يكون منتــج الفــن مستهلكا له ٠ وقد يكون مستهلك الفن منتجا له ــ وإن لم يشعر ــ موضوعا وإيحــاء ٠

الفن كالبكاء أو الابتسام ٠

إن من يبكى استعطافا أو استرحاما لا يبكى بل هو يستعطف أو يسترحم٠ إذ فى إمكانه أن « يستعمل وسيلة » أخرى غير البكاء ٠

إن من يبكى لا يختار ولا يتساءل ٠ ولم يتساءل ؟ هو لا يبكى من أجل شىء أى لهدف معين ولا يبكى حتى من أجل البكاء ٠ هو يبكى وكفى !

إن من يبكى لا يبدأ بالجلوس إلى مبكى ولا يقول : إنى أنوى البكاء للتفريج عن نفسى أو للتعبير عن حــزنى أو لابــلاغ نــواحى أو لايصــال بــؤسى أو لأبكى ٠٠٠

نعم ٠ يمكن أن نعزله إن أزعج الناس ٠ فيبكى وحــده ٠ لكن لا يمكن أن نطلب منه التزام الابتسام أو التزام بكاء معين مهما كان نبل الغايات ٠ الغايات ٠

الوجد ــ وحده ــ يربط وجدان الفنان بالوجود ٠ يحول الوجدان ــ لديه ــ إلى وجود ٠ يحول فرض نفسه إلى فيض فنى ٠ فلا حــاجة بقلبــه إلى لقب أو سبب ٠

---

(14) Alain Robbe - Grillet : pour un nouveau roman P.43 Gallimard - Collection : «Idées» - Paris - 1963

وهو فى كل هذا يحادث نفسه إذ يحادث الناس · يستجيب لنداء وجدانه· يضحك ضحك الفنان أو بكاءه وكثيرا ما يضحك إذ يبكى الناس وكثيرا ما يبكى إذ يضحك الناس (15) ·

فهنالك الذكرى تذكروها ونسوها · وهنالك آمال زاغوا عن طرق تحقيقها وهنالك آلام حجر الترف المادى قلوبهم دون الاحساس بمرجعها ·

قالت الدكتورة بنت الشاطىء : الأديب وجدان مجتمعه (16) ·

ونقول : الفنان وجد مجتمعه لا وجدانه · أما الوجدان فوجدان الفنان · هنا ينعقد اللقاء الكريم والعناق الحلال ·

أما وجدان المجتمع فحزب · وأما وجدان الحزب فجريدة (17) ·

– يتبع –

الحبيب إبراهم

---

(15) قال مارون عبود ناسبا القول إلى « أحد الكتاب الفرنسيين » : « مهنة الأدب استقلال الروح » ·
فى المختبر – ص 84 – دار الثقافة – بيروت – 1964 ·
وقال جبران : « الفن الحديث ثورة واحتجاج وإعلان استقلال » ·
مجلة « حوار » عدد 23 – أوت 1966 – بيروت – ص 28 ·

(16) الأدب العربى المعاصر ص 256 ·
منشورات مجلة « أضواء » الباريسية – 1962 ·

(17) قال سيلونه Silone : « إن الكاتب الملتزم ذا الدعوة الشخصية ينتسب إلى المجتمع لا إلى الدولة » ·
(الأدب العربى المعاصر – ص 256 – منشورات مجلة « أضواء » الباريسية – 1962) ·
وقد أبى الشاعر محمد حسن اسماعيل إلا أن ينتسب إلى الدولة المصرية فكتب ديوان « الملك » قبل الثورة ثم « نار وأصفاد » بعدها فكان فى كليهما بوقا « يستطيب أن يوصف بالشعر وهو ليس من الشعر فى شىء » وقد نال من أجل ديوانه الأخير « قاب قوسين » جائزة الدولة · وما أشبه بعض الجوائز بالصفعات !
(انظر تعليق مجلة « حوار » عدد 20 – فيفرى 1966 – بيروت – ص 132) ·

سبل الطين

شعر : جمال الدين حمدى

يرفض الله ان يرد جوابا عن سؤالى ٠٠٠٠ وقد طرحت سؤالى
عندما فح افعوان رهيب فى الحنايا ، ودب فى أوصالى
عندما انهار حاضرى سيل طين فى طريقى الى غدى يا ليالى
يرفض الله أن يرد جوابا عن سؤالى وقد طرحت سؤالى

*
* *

من بكفى٠٠؟من منقذى٠٠؟من بكفى٠٠؟من بذات تغور فى سيل طين
كلماتى تموت فوق شفاهى ٠٠٠ والظلام المقيت خاط عيونى
ساعدينى٠٠أنهار ٠٠ قد بح صوتى٠٠ ساعدينى حبيبتى ساعدينى
من بكفى؟٠٠من منقذى؟٠٠من بكفى؟٠٠من بذات تغور فى سيل طين

*
* *

اذكرى أننا التقينا ظماء ٠٠٠ وافترقنا إذ التقينا ٠٠ فعودى ٠٠
إبنتى ما تزال جرحا بقلبى ٠٠ إبنتى ما تزال ملء وجودى
سائليها ، لا تخجلى ، أى شىء أطفأ الشمس فى ضحى يوم عيدى
واذكرى اننا التقينا ظماء ٠٠٠ وافترقنا إذ التقينا فعودى ٠٠٠٠٠

جمال الدين حمدى
ـ المرسى ـ

الحب الموؤود

قصة بقلم : وشتاتى احمد فرج

فى السماء صفاء بلورى مشرق ، وعلى مد البصر زرقة لا يرى فى مداها البعيد غير ضباب يصاعد فى تؤدة كأنفاس محتضر أو كأحلام عـذراء ، ولا يلبث أن يبلغ صفحة السماء المائلة على وجه اليم تلثمه فى طهر وبراءة فلا هو يتنكر لها ، ولا هى تعرض عنه وتنفر ، فيخيل للناظر أنهما محبان يتناجيان أو يتهامسان ، والموج فى مده وجزره يحكى قصة الحياة للأحياء ويحمل حديث الحبّ للمحبين ..

وهاهنا ، على الرمال المتبرجة الصفراء تناثرت الأجساد مستلقية تمتص الحرارة وتنشد اللذة فيها فاذا بطون مسترخية ، ومفاتن عارية ، ونهود متوترة قائمة وعورات .. واذا جمال صارخ يدعو ، ومتجرد بض يحرك الكـوامن ، واذا بنو حواء بمختلف ألوانهم ومتعدد أجناسهم ومصادرهم يلتذون مضطجعين أو جالسين بخيوط الشمس وحر الشاطىء وموسيقى الأمواج يصغون اليها فلا تختص آذانهم بحلو معنى أو شيق حديث .

كانت ساعة مقهى الشاطىء الكبيرة تشير الى الحادية عشرة من إحدى أيام الصيف ، الساعة التى اعتادت لمياء أن تغادر فيها منزلها قاصدة الشاطىء ، لتصبغ بشرتها بأدمة تزيد فى جمالها وترتخى على صفحة المياه الزرق لحظات تنصرت فيها بكليتها الى عالم الذهول والنشوة والحلم فتحل بها الآمال البعيدة تقصيها عن جوها ويكتنفها التيه والشرود ، فهى فى غمرة أحلامها وبحرانها تكاد لا ترى غير سامى فتتساءل عن حقيقة إحساسه إزاءها وكنـه شعـوره نحوها :

« ـ أتراه يحبنى حقا ، فيجمعنا الوصال الأبدى ، أم تراه مثـل الكثيرين من أمثاله يخاذلنى ليقنع منى بحب عابر ؟

كلا ! إن سامى لأسمى من أن يكون كذلك ، من أن يكون منحط الاخلاق ، سافل النية ، خبيث الغاية ... ولكن ما يدرينى ، فادارة عمله معرض للغيد الحسان ومنتدى لربات الفتنة ، وصلته بهن ـ ليت شعرى بها ! فسلمى ذات قسط وافر من الجمال والدلال ، ونادية بخضرة عينيها ودقة خصرها ، وامتداد قامتها من شأنها أن تؤثر فيه وتدعوه اليها ... وغيرهن كثيرات بدون شك .

كلا ! إنه لزين الشباب وخيرة الفتيان · ألم أتفرس في وجهه الصدق والنقاوة والنبل أثناء رؤيتي الاولى له في الحفل ؟ ألم ألمس في حرارة حديثه مع أصدقائه التضحية والرجولة ؟

عرفته ليلة 18 سبتمبر من العام الماضي ثم غادرت البلدة من الغد الى مسقط رأسها فنسيت ما كان بالامس ·

وترك البلدة هو الآخر بعد أيام فنسي أو كاد الحفلة الساهرة والصبايا الجميلات ، وحتى اصدقاءه كاد أن ينساهم لآنصرافه الى مشاغله ·

وعاد الصيف ، هذا الصيف ، فعادت معه الراحة والحركة ، والركود والحياة ، والشمس والظلال والزرقة والرمال وأجناس البشر فكأن « سكان التراب قد هبوا من الكرى » واذا النفوس مرتاحة ترتع في مروج اللذة منساقة الى نزوات الأجساد تتشرب الكسل والسلبية والارتخاء ·

عاد الصيف فعادت أسرة لمياء على عادتها الى « طبرقة » ورمالها اللاهثة وزرقة بحرها ، وأمواجها تتكسر على قدمي « الأسد الأصفر » مرغية مزبدة أو تلقي بنفسها يائسة قانطة الى الصخور العملاقة الصلدة ، فاذا رغوة هائلة تطاول قممها ورشاش ناصع تذروه النسيمات ، واذا هدير يتعالى ، وغمغمة تختنق ولحن حزين يتسلل بين نجوات الرصيف وحنايا الجلاميد فيبث رعبا وهولا شديدين وفزعا ·

وعاد من باب الصدفة سامي ليشتغل باحدى ادارات طبرقة لما حظيت له هذه البلدة لديه من حب مكين واستهواء ، ولما وجده من متعة الجلوس بمقهى « الأندلس » التقليدي أو « بالبسكادو » على رمية حجر من الشاطىء ·

مضى على حلول لمياء بطبرقة أسبوع · وخرجت ذات مساء صحبة أختها الوحيدة وصديقة لها فمررن ثلاثتهن طوال الطريق المحاذية للبحر ، وفي أثناء انسياقها وقفت مشدوهة فاغرة الفم شاردة النظر أمام فتى أعاد الى ذاكرتها أمسية الحفل ، وتأملته مليا فاذا هو أحد من حضروا السهرة في الصائفة الماضية فأعجبت بخصاله ، وركنت الى التفكير والاطراق ، وهي في ذلك كله ، تتكلف الاكتراث بحديث صديقتها ولغو أختها · وأعادت المرور بالطريق ، فاذا هو يعود لحسن حظها ويلحظ ما بدر منها فترتكز عيناه بعينيها ، بوجهها ، بقدها بشرودها وتيهها فيلقى فيها تحفة الحفل الذي حضره ، وإذا لمياء شغل باله وطيف ليله ·

وعلى وزن المتدارك مر شهر أو بعضه فطوى اللقاء الأول لهما وغيره ــ وذات ليلة كان يجلس لوحده بمقهى الشاطىء يتأمل البحر الساكن وينعم بهينمة

النسيم المدغدغة ووشوشة الموج فى مده وجزره يقبل الساحل النائم ويفر هاربا خشية إيقاظه بينما يمتد بين الفينة والفينة خط فاقع طويل تلوح به المنارة فينكشف سطح الماء لحظة ثم يحتجب ، وسامى فى ذلك مهبط للخيال ومحط للتفكير :

« ... أتراها تطمح فيما يبدو على من السعة والترف لتدمن النظر الى وتحيطنى بحب جم واهتمام بالغ ؟ ولكنى ماشيتها كثيرا وحدثتها عن نفسى وحدثتنى عن نفسها فعرفت أن والدى يملك محلا يشكل المورد الحياتى الوحيد لصبية أربعة ، وأنى موظف فى شركة ما ليس إلا ، وعرفت أن والدها أوسع ثروة وأوفر ، وأنها وأختها الوحيدة أعز ما يملك أهلها .. ـ أفهل تراها مخلصة فى عاطفتها ؟ ـ بلى ! إن فى عينيها لنداء الصدق والوفاء فلشد ما تعلقت بيدى ونحن نتماشى وكأنها تخشى صولة الدهر ودورة الزمن ـ ولطالما التصقت بى كالمذعورة الخائفة ـ أو مرت أمام ادارة الشركة لترانى فى غمرة انصرافى الى عملى واشتغالى بدفاترى ، أو سارت معى فى أول الليلة الى الجهة الغربية للبلدة ، فلا نكاد نخوض غمار الحب والزواج الدنىء ، ولكنه الحديث البرىء حديثها وحديثى ينساب نشوان على صفحة البحر ويتسلل بين فجاج الجلاميد الخرساء وتلاطم الموج ، هو الكلام الطاهر تذروه أنسام الليل وتحمله فوق مجاهل اليم وغياهب الظلمات .

ولكن ! ألا تقتضى وحدانيتها بين أهلها أن تزف الى من يحبون ويفضلون من ذوى قرباهم ، وأين أنا منهم ومن صلة رحمهم ! أو لم تقل لى يوما أن والدتها تؤمل زفها الى ابن أخ لها ، لا تحس نحوه لمياء بغير عاطفة القرابة ، بيد أنها مشيئة الوالدين ما لها تبديل ، ولمياء تخشى غضب أهلها كل الخشية وتستحى منهما كل الاستحياء لمفعول تربيتها وبيئتها » .

وذات مساء ـ وقد أشرف الصيف على الانقضاء ـ جلست لمياء الى أختها على مقربة من منزلها وبقيت تتأملها وهى تفرك الرمل تارة وتكدسه أخرى ثم تذروه أو تملسه وتخط فوقه فيأتى على خطوطها النسيم .

وقدم سامى مستهدفا رؤيتها وقد غاب عنها طيلة أيام أربعة حبسته فيها شؤون ادارية بالعاصمة .

« ـ لميائى ! كيف حالك يا شغلى بعد غيبتى هذه ؟ عاقتنى عنك شواغل أكيدة بالعاصمة ، فاكتنفنى فراغ مميت ووحشة ممضة وقلق لفقدك ، وألهبنى الشوق الى رؤيتك والجلوس معك وجهة البحر . كيف أنت ؟ لمياء ؟ »

وهاله أن يراها مطرقة لا تجيبه عن غير سلامه ولا ترفع اليه بصرها مليا فأتهم نفسه :

« أعتذر إن بدر منى شيء ، العفو يالمياء إن أغظتك ، لقد أرهقتنى الاقامة بتونس والحرارة فيها كأنفاس الزبانية ، فتوترت أعصابى كما ترين وصرت أهـذى » ٠

وفى صمت الظلام ووحشته تناهى الى مسمع سامى نشيش خافت كصوت الشواء ، وبحركة لا شعورية قـرب لفـافته الى شفتيـه وامتص نكهتها فلم تستجب له ، وعلى ضوء عود الكبريت الذى أشعلـه لاحظ بلـلا فى مؤخـر سيجارته :

« تبكين ؟ ؟ وما سر بكائك ، فلانتى ؟

واذا سامى يسليها ويأخذ يدها ويسـألها عن مـوجب دمـوعها فتسكت وتسكت ، وهو فى ذلك حائر مشدوه باهت ، لا يكاد يصدق ٠

وتهب الريح خفيفة ثم تحتد وتعنف وتأخذ شعـر لميـاء تـرسله طـوع مشيئتها ، وينقم البحر فيهيج ويعربد وتصاعد أمواجه وتعلو فتبدو على ضوء المنارة كهياكل من الوحل ٠٠٠

وتعود لمياء الى البيت ، فاذا والداها يحزمـان الحقـائب ويجمعـان المتـاع والادباش فلا تفهم شيئا ولا تستفسر أحدا ٠

ويعود سامى يفكر فى أمرها ويتساءل عما ستبرر به بكاءها فى موعد الغد وجملتها الاخيرة ما تزال ترن فى أذنيه : « سنلتقى غدا » ، يعود الى بيته الذى غادره منذ أربعة أيام فيجد رسالة :

« سـامى ! !

أعلم أن صلة ما جمعتنى بك زمنـا لست أدرى أطـال أم قصر ولكن الذى أدريه أنى لقيتنى سعيدة فى ظلك مرتاحة الى عطفك وملء رجولتك تغدقهما على برحابة صدر فخلقت منى عشيقة هى حافزتك التى تدفع بك حيث تشـاء وقبلتك التى تتوجه نحوها والشعاع الذى يمزق ظلمتك وأعلم أنك تريدنى وتعشقنى بدورك عشقا ملائكيا خـالصا برهـن عليه ما فيك من روح تضحيـة وفيـض وفـاء وشعلـة صـدق ، فلطالما آختلينا على الرصيف فى سكرة الحب ونشوة الذهول ، ولطالما ضمنا الليل فى حلو السلام وبرىء الاحلام ولكنى الآن ذاهبة والحسرة تفتتنى والحرقة تشل يدى وتحـد من أنفـاسى الى إعلامك بوقوف والـدى حاجـزا دون زواجنـا فقد أصـرت أمـى » ٠٠٠

وقفز نظره الى ذيل الرسالة فقرأ :

إلى اللقـاء ــ لميـاؤك ــ

وسار سامي في صبيحة الغد الى حيث تسكن لمياء ودقات قلبه تتوالى لاهثة والشوق الى استفساره يبرح به ، وسأل عنها فقيل له : إنها رحلت !

كانت ساعة مقهى الشاطىء الكبيرة تشير الى الحادية عشرة من إحدى أيام الصيف ، الساعة التي اعتادت لمياء أن تغادر فيها منزلها قاصدة الشاطىء لتصبغ بشرتها بأدمة تزيد في جمالها وترتخي على صفحة المياه الزرق لحظات …

اجتمع في ذلك اليوم أمام مركز شرطة البحر أناس عدة من بينهم أحد البحارة فارع القامة عريض المنكبين يستجوبه عون فيقول :

« لقد ألححت عليه أن أرافقه ولكنه أبى فسلمت اليه القارب واتفقنا على ساعة أو بعضها ، فلما أن رأيته أبطأ خفت عليه وحدثتني نفسي بسوء عرض له فالحقت به صحبة غواص وإذ لم نلقه نزلنا اليه فاذا هو جثة هامدة ليس بها حراك .

ومضت شرطة البحر في استنطاقها وبحثها ، والبحار في سرد قصته ، ونفض المركز مجتمع الناس عنه .

وشتاتي أحمد فرج
ــ عين دراهم ــ

اطـــوار :

مدرسة التجديد في الشعر التونسي الحديث

ـ 3 ـ

بقلم : محمد الحبيب عباس

بدأ تيار التجديد فى الشعر التونسى الحديث ، كما بدأ فى المشرق العربى : باحياء التراث الوطنى والقومى ٠

لكنه لم يرد فى محاولة التونسيين ، كما ورد فى محاولات المشارقة : تبعا لما تمخض عن احتكاكهم بالغربيين كما سبق تحليله (I) ٠

وانما انطلاقا من : **شعور ذاتي صرف** ، تملك الرواد المجددين بهموم ما باتت عليه الاوضاع الفكرية ، والادبية ، والاجتماعية ، وحاجتها للتعهد الحاسم الذى يعيد لها العافية كي تساير ما تنشده النخبة من رقى وازدهار ٠

وكان أن برموا بما كبت المشاعر الجياشة من متنفسات تضيق اوردتها عن التجارب المتوثبة كما حبلت بها الأجنة الخافقة فى غمـرات التنـزل ، او مما ترسب من سيولها الهادرة فى هدأة التوتر لاستعادة حالات من فيضها الغامر ، او نقل مشاهد من رؤاها الخاطفة حين يتوفر الداعى للتغريد ٠

كان تحسسا داخليا محضا ، انبثق من ذواتهم الصاحية ، واستجلوا دوافعه داخل اوضاعهم بانفسهم دون أن يدلهم عليه دال خارجى ، ولا نبههـم اليه اى احتكاك غريب ٠

ذلـك :

أ ـ أن المعدات المادية ، وخاصة الحربية منها ، كانت ما تزال عهدئذ متشابهة بالنوع والصنف والأثر مع ما تملكه الدول الاجنبية دون أن ينال ما بيد الجيش التونسى منها اى احتلال ، سواء فى الهيئة او المفعول ـ او على الاصـح ، كما كانوا يعتقدون ذلك ـ حتى يتجه القادة لالتماس العوامل التى رافقت الخصوم

(I) فى مقال « التجدد والتجديد » المنشور بمجلة « الفكر » العدد I ـ السنة I2 ـ شهر اكتوبر ـ ص 32 ٠

او الجيران برياح التفوق او الرجحان عكس ما حصل في اواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، وما بعده ـ بتونس ، وبلدان المشرق ، على السواء ـ نتيجة احتكاك الدول الاسلامية بالغرب • بل كانت الحروب قبله ، وحتى احتلال الجزائر سنة 1830 م. سجالا بين دول المغرب العربي ، وشركائهم في حوض البحر الابيض المتوسط من امم القارة الاوروبية •

والتفوق المادي الذي حققته اوروبا هو الذي بدأ يغير رأي المسلمين والعرب فيما توارثوه عن عصور مجدهم من الاعتقاد بجهل الشعوب الغربية ، وانحطاطها ، وتخلفها ••

اما شعور العرب بالانفراد في مجال العبقرية الادبية ، وفروع المعرفة الفكرية ، مما نسل مع الاجيال مذ حمل العنصر العربي مشعل الرسالة الاسلامية الى امم عريقة في الحضارة والثقافة ، والآداب ، والفنون ، فلم ينحسر بالتسليم لابناء القارة الاوروبية بحظوظهم الفنية الا على تراخ زمني من التسليم لهم بالتفوق العسكري والصناعي الذي غير الحياة المادية والسياسية عندهم تغييرا لا يقبل النكران •

ب ـ ولم يكن احتكاك ابناء المغرب العربي بابناء اوروبا معدوما ، ولا أنفا ، ولا حتى نادرا ، كما هو الامر بالنسبة لعرب المشرق قبل القرن السابع عشر ، فما بعد ، بل ظل في المغرب ، وخاصة في تونس ، احتكاك : جوار وتبادل ، تنافس واحتراس ، ترقب ونزاع • واستمر يراوح بين هذه المظاهر ، لا ينقطع على مدى العصور التاريخية •

وباستمراره على وتيرة او اخرى من الاتصال المباشر ، برا وبحرا ، لم يحمل لابناء المغرب حتى شوط من يقظتهم المبكرة ما حمل لاشقائهم المشارقة ، في عهد لاحق ، من دلالة التفوق الصريحة في جنب الاوروبيين التي تمخض عنها اقبال البعوث للتبشير والتمهيد ، والجيوش للتنفذ والفتح ، مما احدث ردود فعل لدى النخبة في تطلعها لاسباب الوهن والهزيمة امام الوافدين مقابل ما لأولاء ، ضعاف الأمس ، من وسائل القوة والرقي •

ولم يكن عن انكماش أن لم يخطر على بال الصفوة التونسية ، لما بدات طور الاحياء الادبي ، ان تتطلع لحياة منافسي دولتهم في بلاد « الكفر » ـ هكذا ـ ولا شامت لهم من التطور ما يثير المقارنة ، او يدعو الى التساؤل عما يجري هناك من تطورات •

ذلك ان النهضة الادبية الحديثة في تونس لم تتأخر ـ في الزمن ـ عن قيام الثورة الفرنسية نفسها • فحين كانت هذه تخطو لدى الدول الغربية خطاها الاولى ، ولما تتخلص من اشباح الحروب ، لا فيما بين ابناء القطر الواحد ، ولا فيما بين قطر وقطر ، فضلا عن اشعاعها خارج حدود القارة الى جيرانها

الاقصين فى قارة اخرى مخالفة ، كانت النهضة الادبية فى ميمنة المغرب العربى ـ تونس ـ تمكن لنفسها ، على عهد النهضة الفكرية فى فرنسا ، وفى عصر الفلاسفة من قبل مونتسكيو (Montesquieu) (2) حتى جون جاك روسو (J. J. Rousseau) (3) ـ قلت كانت النهضة الادبية فى تونس ـ تمكن لنفسها فى طور جديد ، هو :

2 ـ طور الرسوخ :

فى هذا الطور ، ثانى اطوار مدرسة التجديد فى الشعر التونسى الحديث ، لم يتح للمثقف التونسى ـ ايضا ـ ان يطلع على شيء من آراء قادة الفكر الغربى ان فى فرنسا او فى غيرها ، ولا ما ظهر لهم من انتاج ثورى وفير . فظلت مصادر الثقافة التونسية اسلامية عربية بحتا ، واستمرت الكثرة من الشعراء تتمرس بطرائق الفحول الأوائل : شعرا عموديا فى اغراضه، وأوزانه، وقوافيه ، وفى الافكار ، والمعانى ، واساليب التادية .

اما القلة فقد اتفق لها ان تنحو بالشعر ، فى جانب مما أعطت ، نحوا عفويا ناعما ، انسجم مع المزاج المستظرف فى تخففه من عبء الجزالة والتوعر حتى فى الموضوعات التى يتلاءمان معها ، وانساقت مع السجية فى استطراف ذكى ، تجارى الحياة فى مواقع التجربة لتقمص جوها ، او بعضه ، بما فيه من سمو ، او غضارة ، او مرح ، او مجون .

وتذرعت لتطويع الاداة الفنية للطباع الهيفاء : بالاوزان المختصرة ، والتفاعيل الخفيفة ، كما وقعت فى الموشح على حاجتها من التلوين ، والتنويع ، والمرونة .

وفى المعانى لم تخل اشعارها من محاولة الابتكار ، وان جاء فى جله اقرب الى التوليد الجزئى ، لكنه حمل من منعطفات الذات والمجتمع شيئا من ظلالهما امتدت على ارغون الانشاد .

وجرت فى محاولتها تجديد الاغراض على اشتقاق فروع من الموضوعات الموروثة ، كانوا هم أول من وقعوا عليها : **كالمديح العلمى** الذى فرعوه من مديح الملوك ، وارباب الجاه . ومثل **الهجاء** الجماعى عن غرض الهجاء الفردى او القبلى . وازدهر **الشعر الصوفى** ازدهارا ملحوظا .

أ) ـ وقد اكثر حمودة بن عبد العزيز المتوفى سنة 1202 هـ. 1787 م. فى **الغرض الاول** . من ذلك ـ على سبيل المثال فقط ـ موشحه فى مدح شيخه الورع محمد الغريانى ، معارضا ابن سهل فى موشحه المشهور .

---

(2) مونتسكيو (1689 ـ 1755) .
(3) روســو (1712 ـ 1778) .

قال ابن عبد العزيز :

إن ظبيـا حـول كثبـان الحمى ... بـات يـرعى زهـرات الانفـس
فهـو مـذ لاح سنـاه أضـرمـا ... بـفـؤادى جـذوة المقتبـس
ويـح قلبى كم تصدى للمحـن ... سالكا نهج الردى فيمن سلك
ولقـد حـذرتـه مـن قبـل أن ... يتـردى هالكـا فيمـن هلـك
كيف ينجو من راى الظبى الأغن ... بطبق الجفـن على سحـر ملـك

ومن جزء المديح ، قوله :

ولغـريـان نماه مـن نمـا ... فاكتست بالفخـر أبهى ملبـس
شـرف الغـرب بهـذا الانتمـا ... مـن حـدود الثغـر للانـدلـس
ماجـد جـم المعالى مـرتضى ... افحمت اوصافه نظم القـريض
لم يصفهـا لو أتت فيمـا مضى ... شعر ذى الرمة فى لحن الغريض
صـارم للـه أضحـى منتضـى ... وغمـام بحيـا العلـم يفيض
جـادهـا حـزنـا وسهـلا كلمـا ... حل ارضـا لم يـدع من يبـس
يرفـع الجهـل عـن النـاس كما ... يـرفـع المطلـق حكـم النجـس

واذ لا يتسع المقام فى هذه المقدمة العامة للتحليل الادبى ، فانه لا يسعنى الا ان الفت نظر القارىء الى ما كنا اسلفناه عن شعـراء هذا الـدور ، والذى قبله ، من ترسمهم ايمة الشعر الغابرين ، يشهد لذلك من هذا الموشح ما ورد فى المقطع السابق من ذكر لاحد اعلام الوصف ، وهو : ذو الرمة ، وذلك فى قول ابن عبد العزيز :

لم يصفهـا ، لو أتت فيمـا مضـى ، شعر « ذى الرمة » فى لحن « الغريض »

وعلى ما فى تشبيه رفع الجهل عن الناس بفضل العلم الذى كان يبثه الممدوح فى صدور الرجال ، بأثر الوضوء فى تطهير المصلى ، وتهيئته للوقوف بين يدى ربه ، وقد نظف اعضاءه او بدنه بماء طهـور نقى كما ورد ذلك فى الشطـر الاخير من فقرة القفل الثانية : « يرفـع المطلـق حكم النجس » ، جـريا على مقاييس ادب الانحطاط فى احدى ميزاته البـارزة ، ممثلـة فى الالتجـاء الى مصطلحات العلوم ، وقواعد المعـرفة لبثها فى النتـاج الادبى ٠ فلما أصبـح تضمين ذلك غرضا يقصد بالتعمل والاكثار ، انقلب المحسن ذميمة فى عداد مآخذ النقد على ادب الصنعة والتزويق ٠ قلت على ما فى التشبيـه من التقـاء بمظهر من مظاهر ادب الانحطاط ، فان وقوعه فى السياق اللفظى والمعنوى على غير نشاز ، وبلا تكثر يشفع للشاعر وروده هذا المورد على مهارة فى الاخراج ، وانتظام مع الترقيمة الموسيقية الموقعة ، اذ ما يـزال متأثـرا بعض التأثـر بالانماط الادبية التى بقيت على رواج فى عصره ٠

ب) – **أما الغرض الثاني** ، وهو الهجاء الجماعي ، فمن اعلامه : الشاعران ، على الغراب المتوفى سنة : 1183 هـ. – 1769 م. ومحمد ماضور المتوفى سنة : 1226 هـ. – 1811 م.

جاء في ديوان الشيخ ماضور (المخطوط) :

« .. ولما حللت بسوسة زائرا متوجها للقيروان سنة : 1186 هـ. – 1772 م. هرع الى اهلها واعيانها بالضيافة والاكرام ، وبالغوا في ذلك ، وكان قد نزل بهم الاديب البارع صديقنا أبو الحسن على الغـراب الصفـاقسى فلم يسمعوا بقدومه ، وما لقيه منهم من يعرفه ، فضاقت نفسه بها ، فلما خرج منها هجاها بابيات من جملتها قوله :

وكـانمـــا سكـانهـــا خشـــب   تبـــا لهـا مـن سـوسـة الخشـب

فطلب أهلها منى نظم ابيات ازيح عنهم بها معرة ما قاله فيهم .. فقلت :

فاخر بسوسة اهل سـوس المغـرب   والمشـرق الاقصـى ، ولا تستغـرب
الارض وجـــه ، وهـى ثغـر باسـم   والساكنـوها كاللمـا المستعـذب
ورثـوا المكـارم عـن جـدود علمـوا   ابنـاءهـم كسـب الثنـاء الاطيـب

كما هجا الشاعر محمد ماضور قومه بقصيد منه :

وصـــرت فى قـومى بحيث لهـــم   ان يفخـروا بي فى مجـال النضـال
فاخملـــوا ذكـرى ، وهـم أسرتى   ومـزقـــوا عـرضى بهجـر محـــال

الى ان قال :

أهيـل دار الســـوء : لا تعجلـــوا   إن أحـز الامـر عليكـم ، فطـــال
ان رمتـم ظلمــــى بجـــاه ، ومـــال   فجـاهى ، ومـــالى شـديد المحـال

نلاحظ هنا : تعفف الشاعر عن استعمـال الشتـائم الصـريحة فى هتك الاعراض ، وإشاعة الفاحشة فى المهجوين مما ينحدر الى درك يـدوس ستـر الحيـاة والمروءة ، فـرده الى تعداد النقائص النفسية التى تتصل بالتربيـة ، ولا تتناول النعوت الوقحة باداء اعتلال المهجو جنسيا كما نحـا هذا النحـو شعراء الهجاء الماجن .

ج) – الشعــــر الصـــــوفى :

« .. ولئن توقف التصوف فى العصر الذى نؤرخ عن سيـره المبـدع فى فتوحاته الغيبية ، وانكشافاته الروحية ، وانقطع الحـوار بينه وبين الحكمة ، والعلوم الكونية ، وتوقف عن مواصلة السير فى الابداع النظرى ، ولم تعد له تلك الايجابية الانسانية النافذة فى المجاهيل والاسرار ، وقنع بمدارسة

بعض آثار أيمة التصوف وخاصة ذات الصلة بالتصوف العملى ، ومسالك الطريق ، فانه لم يبلغ مرحلة التراجع المقوض والانحراف المهدم ، بل بقيت فيه بقية من صفاء ، وانفاس صدق ونزاهة على ما اصابه من سلبية تصون ولا تنتج ، تذود السالك ولا تتوغل ، تعتبر ولا تبدع ٠

وبعبارة اخرى : تعطل التصوف الفلسفى عن النشاط فى معالجة القضايا الماورائية بالتأمل الباطنى ، والحدس الروحى كطريق من طرق كسب المعرفة او بعض طريق ٠ واستمر التصوف الرياضى ترو‌ده فئة صالحة من الاتقياء ٠٠ أثرت فى محيطها تاثيرا اضحى مع الزمن اتجاها سلبيا رد المجتمع الى القناعة ، ثم الى الانزواء والاكتفاء بقدر الحاجة من العمل ٠٠ وظهر عصر المزارات فيما بعد ، وحفلت الطرق بالمريدين ، وفترت الهمم عن بذل الجهد فى سبيل الحياة المادية ٠٠ واثراء مكاسبها الاجتماعية والعلمية مما عرفت به عصور التصوف الذهبية ٠٠

وصادفت الاغراض الصوفية لدى الموهوبين من شعراء السلوك استعدادات ضامئة ايقظت الشعر الصوفى ، ونفحته بالاصالة ، فتجمع عطاء وفير من تجارب الاشراق الباطنى ، والعشق الربانى ، والحب النبوى ، ومواقف الابتهال والضراعة ، والوسيلة ٠٠

ومن اعلام هذا الفن :

1 ـ محمد بن محمد الوزير السراج المتوفى سنة : 1149 هـ. ـ 1736 م. (كما ذكر ذلك بروكلمان ، وان حددها الزركلى بسنة : 1149 هـ. ـ 1736 م. بغير ترجيح) ٠

ومن شعره فى المحبة الصوفية :

لذ لى كأس اعتقادى	من يدى أهل الوداد
منهم انسى اذا ما	جن ليلى وسهادى
ارضعونى ثدى وصل	قبل عهدى بمهادى
كيف اسلو عن هواهم	وهموا اقصى مرادى
فاصطبارى فى انتقاص	وغرامى فى ازدياد
وحياتى هى موتى	فى هواهم ورشادى
....	.... (4)

2 ـ محمد بن سعيد الحجرى المتوفى سنة : 1199 هـ. ـ 1783 م. ومن شعره الصوفى ما استزار به صاحبه الولى محمد المدنى :

---

(4) اورد الشاعر قصيده هذا كاملا فى كتابه « الحلل السندسية فى الاخبار التونسية » ج 3 (مخطوط) ٠

هل فيكم من جزيل الحب ما فينا ... فان شوقكم قد كاد يفنينا .
يا سائرين ، كسير الشمس سيرتهم ، ... والذكر يتبعهم كالروض تلوينا ،
تقاسمتنا عجيبات لبعدكم ، ... فالذكر يضحكنا ، والبعد يبكينا .
لم املك الصبر اذ حان الرحيل بكم ... لا يمكن الصبر من بعد المحبينا
.... (5)

3 – ابراهيم الرياحى المتوفى سنة : 1266 هـ. – 1850 م. ، وهو فى عداد شعراء الطور الثالث ، وهو طور الخضرمة الآتى ذكره فيما بعد ، اثبتناه هنا ، ومعه الشاعر محمد بيرم الثالث استكمالا لامتداد هذا الغرض فى الاجيال المتعاقبة .

ومن استغاثاته الرائعة :

كرم الزمان ، ولم يكن بكريم ... وصفا ، فكأن على الصفاء نديمى
وافاض من نعم على سوابغا ... لله يشكر فمى ، وصميمى
عظمت على الشعر البليغ وربما ... عجز الثناء على الوفا بعظيم

الى ان يقول :

يا سيدى ! ولكم دعوت لسيد ... حتى عرفتك ، فاستبنت رجومى
وعلمت انى كنت ارقم فى الهوا ... واسير خلفى ، والشقاء نديمى
يا موئلى ! وكفى بفضلك موئلا ... ومؤملى عند التهاب سمومى
هل انت كاشف كربتى ، فلقد سطت ... وطغت على وساوسى ، وهمومى
هل انت راحم شقوتى فتريحنى ... بخيار اهل الله ، خير رحيم
فارحم دموعا قد رأتك عيونها ... فتكرمت باللؤلؤ المنظوم

4 – محمد بيرم الثالث المتوفى سنة : 1259 هـ. – 1843 م. ، وهو من شعراء الطور الثالث ايضا . ومن استعطافاته فى التوسل ما توجه به الى العلامة على بن زياد صاحب الامام مالك ، ومطلعها :

آيات حق اعلنت بودادى ... اغنت عن التسجيل والاشهاد
بانت بها للعالمين صبابتى ... وهزيد اشواقى الى « ابن زياد »
ذاك الذى ملأ القلوب مهابة ... وسما ببهجته على الاطواد
كم زرته والدمع منى سائل ... لتألم الاحشاء والاكباد
فرجعت منه ، وكل هم زائل ... والوجه طلق ، والبشير ينادى
.... (6)

(5) اورد الشاعر قصيده هذا كاملا فى ديوانه « الفلك المشحون » (مخطوط).
(6) اختصرت بهذه الفقرة فصلا عنوانه « الشعر الصوفى فى الادب التونسى الحديث » من اطروحتى للدكتوراه .

واذ لم نكن فى مجال استقصاء لشعراء هذه الحقبة ، فانه لا بد من الاشارة الى انها حفلت بعدد ضخم من الشعراء التونسيين المجيدين ٠

اما نظراؤهم فى المشرق العربى ، من حيث : الاتجاه ، والنزعة ، والمستوى ، فقد تأخر ظهورهم الى القرن التاسع عشر الميلادى بعد ظهور أثر الارساليات الاجنبية ، فى كل من لبنان ، وسوريا ، وبعد الحملة الفرنسية على مصر سنة : 1798 م. كما اسلفنا (7) ٠

وكان فى مقدمة طلائع احياء الشعر بالمشرق :

1 ـ ناصيف اليازجى ، المتوفى سنة : 1871 م.
2 ـ يوسف الاسير ، المتوفى سنة : 1890 م.
3 ـ ابراهيم الاحدب ، المتوفى سنة : 1891 م.

وثلاثتهم من لبنان ٠

4 ـ محمود سامى البارودى ، المتوفى سنة : 1904 م. ، وهو مصرى ٠

ولئن سبق هؤلاء بعدد من الشعراء ، أمثال :

ناقولا الترك المتوفى سنة : 1828 م. ، وبطرس كرامة المتوفى سنة : 1851 م. ، وهما من لبنان ، واسماعيل الخشاب المتوفى سنة 1834 م. ، وعلى الدرويش المتوفى سنة : 1853 م. ، وهما مصريان ، وامين الجندى السورى المتوفى سنة : 1841 م. ٠ فهؤلاء ، وامثالهم لم يرتفع شعرهم الى مرتبة اليازجى ، والاسير ، والاحدب ، والبارودى فيما حققوه لأشعارهم من عزوف عن مقاييس عصر الانحطاط مما اغرق الاداة الوجدانية فى السخف والقشور ، واثقلها بالزخرف والاسفاف ، وشدها عن ينابيع الثراء : فكرا ، وجنانا ، وعاطفة ، ذاتا ، ومجتمعا ، وكونا ٠

(يتبع)

محمد الحبيب عباس

---

(7) فى مقال : « التجدد والتجديد » بمجلة « الفكر » العدد 1 ـ السنة 12 ـ الصادر فى اكتوبر 66 ـ ص 32 ٠

هي ونحن والضوء والفحم والورق

محمود التونسي

الخُطُوطُ تَمْتَدُّ
وَالشَّكْلُ يُبْنَى وَيَنْهَدُّ
وَالعُيُونُ تَحْرثُ جِسْمَهَا
وَالصَّدِيقُ يَسْألُهَا الاسْمَ ، عَنْوَانَهَا
وَظِلالاً يَطْرَحُهَا هُدْبُهَا عَلَى خَدِّهَا
فَتُضِيئُهَا عَيْنُهَا وَيُشْمِسُهَا خَدُّهَا
يَدُهَا عَلَى نَهْدِهَا وَنَهْدُهَا عَلَى صَدْرِهَا
وَصَدْرُهَا عَلَى الوَرَق
غَرِيب عَنِ العِطْرِ وَالعَرَق
الضَّوْءُ يُفْرِغُهَا وَالظِّلُّ يَمْلؤُهَا
وَنَحْنُ نَرْسُمُهَا وَنَمْحُوهَا تُتْعِبُنَا وَنُتْعِبُهَا تُؤْذِينَا وَنُؤْذِيهَا
وَتُسْبِينَا فَنُرْضِيهَا
فَنَلُمُّ اشْتَاتَهَا وَنُضِيءُ أشْكَالَهَا
يَدُهَا عَلَى نَهْدِهَا وَنَهْدُهَا عَلَى صَدْرِهَا
خِصْرُهَا عَلَى فَخْذِهَا وَفَخْذُهَا عَلَى فَخْذِهَا وَفَخْذُهَا علىظِلِّهِ
يَدُهَا عَلَى بَطْنِهَا وَبَطْنُهَا عَلَى بَعْضِهَا وَبَعْضُهَا عَلَى كُلِّهِ
رَبْطَة عَلَى رَأسِهَا وَرَأسُهَا عَلَى أمْسِهَا وَأمْسُهَا عَلَى لَيْلِهِ
وَنَلُمُّ أشْتَاتَهَا وَنُضِيءُ أشْكَالَهَا
فَتَجِي ألْوَانُنَا وَتَضِيعُ ألْوَانُهَا
تَبًّا لَنَا تَبًّا لَهَا
حَمَّالَةُ التَّعَبِ

مَا أرَدْنَا اسْتِرَاحَهْ
وَمَا وَنِيتْ عَـرَاءً
وَلاَ تَشَنُّجًا فِي الفَضَاءِ وَفِي المِسَاحَهْ
لَقَدْ سَهَا البَالُ مِنْهَا
كَأنَّمَا أطْلَقَ البَالُ مِنَ الجِسْمِ سَرَاحَهْ
بَيَّاعَةٌ لِلْخَطَايَا حَمَّالَةُ التَّعَبِ
بَلِيلَةُ العَيْنَيْنِ سُلاَلَةُ العَرَبِ
أمَامَنَا جَلَسَتْ عَلَى الصُوفِ عَلَى الخَشَبِ
شَعْرُهَا أسْوَدٌ وَثَقِيلٌ ، وَعَيْنُهَا كَمَا ابْتَلَ الزُجَاجُ بِالعِنَبِ
أضْحَكُوهَا فَمَا ضَحِكَتْ وَمَا نَزَلَتْ فِي المُزَاحِ لِلدَّرَكِ
كَأنَّهَا نَسِيَتْ مَشَاعِرَ التَّنْكِيتِ وَالضَّحِكِ

محمود التونسي
تونس 10 / 4 / 67

● أصدرت الدار التونسية للنشر العدد الثالث من مجلة « قصص » التى يشرف عليها نادى القصة (نادى ابو القاسم الشابى) . واصدرت كذلك كتابا محلى بالصور والرسوم عنوانه « المنستير » ويدخل هذا الكتاب فى سلسلة المعالم الاثرية .

اه لو ادركتها

شعر : هدى صدام

حين ألقاك بلا وعد بدربى ، أو ينادينى حنينى للقاء
وترى فى مقلتى أطياف دمع ، وشجون كشجون التعساء
واشتياق ، ورجاء حائر ضاع فى دنيا شموخى والاباء
قف قليلا وتأمل أدمعا جمدتها فى عيونى الكبرياء
ربما ادركت دنياى التى عانقت روحى بها طيف الوفاء
كل حين يسجد القلب لها فهى حصنى ، وهى ارضى والسماء
وملاذ الروح فى وحشتها وعزائى كلما عز العزاء
فجرها القدسى سحرى الضيا لقلوب ظمئت فيه دواء
قد تكون الشمس فى غفلته قبست منه سناها والسناء

* * *

حين القاك بلا وعد بدربى ، أو ينادينى حنينى للقاء
وترى فى مقلتى أطياف دمع ، وشجون كشجون التعساء
فلأنى ههنا فى وحدة شاع فى اعماقها ألف نداء
يا حبيبى آه لو ادركتها جنتى الخضراء حلم الاوفياء
هى فى قلبى فى اعماقه وهى تسرى فى عروقى والدماء
انها الحب الذى قدسته وعظيم هو حب الشعراء

هدى صدام

مطالعات

كتاب منهاج البلغاء وسراج الادباء لحازم القرطاجني

تقديم وتحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة

عـــرض : جعفـــر ماجـــد

نشرت دار الكتب الشرقية هذه الايام الاطروحة التى قدمها السيد الحبيب بلخوجة لجامعة الصوربون ونال بها درجة الدكتوراه الجامعية : وموضوع هذه الاطروحة تحقيق لنص منهاج البلغاء وسراج الادباء لأبى الحسن حازم القرطاجنى وتقديم للنص والمؤلف ٠ صفحات الكتاب ثمان وستون وأربعمائة من الحجم الكبير حظ التقديم والتحليل منها ثمانى عشرة ومائة صفحة وحظ النص الاصلى اثنتان وستون ومائتان والبقية للفهارس ٠ وتتخلل الكتاب صور من المخطوطة التى حققها الدكتور الحبيب بلخوجة وهى أربع لوحات ٠

وقد تولى الشيخ محمد الفاضل بن عاشور تقديم الكتاب فابتهج بظهور المنهاج للناس وهى أمنية له غالية ورأى فى عمل الدكتور الحبيب بلخوجة تحقيق أمنية له ثانية هى تمكن اتصال الدراسات الاسلامية بالاساليب الحديثة التى تسير عليها جامعات اوروبا فخرج الكتاب فى (حلة سيراء ـ حسب تعبير الشيخ ـ زيتونية باريسية) ٠ ويستعرض الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور أمهات الكتب البلاغية باحثا عن مكان المنهاج منها فيرى أن منزلته كمنزلة رسالة الشافعي من علم الفقه ومقدمة ابن خلدون فى التاريخ، قد ترك فيه صاحبه ما تناوله الآخرون وتناول هو ما تركوه ٠ ألم يقل (قد سلكت فى التكلم فى جميع ذلك مسلكا لم يسلكه أحد قبلى من أرباب هذه الصناعة لصعوبة مرامه وتوعر الوصول اليه ، على أنه روح الصنعة وعمدة البلاغة) ٠ ففى أى شيء يتفق حازم مع البلاغيين وفى أى شيء نختلف عنهم كان هم الجرجانى وابن رشيق والسكاكى وغيرهم تكوين الملكة البلاغية أو ملكة ادراك الاعجاز فى القرآن ، أما حازم فلم يقصد الى تعريف البلاغة فى ذاتها بل الى فهم روحها ولذلك كان الشيخ الفاضل اميل الى تسميته فلسفة البلاغة أو روح الصناعة ٠ ثم تساءل عن السبب الذى زهد فى الكتاب حتى جاء ناقصا

مبتورا ، ويرى أن ذلك لم يكن الا لان حازم خرج عن جادة البلاغيين ولم يصل يده بيد السابقين من أصحابه بل وقف منهم موقف المهيمن المتعالى فلم يقدر على الثبات فى المدار الاوسع ، ويدعو فى نهاية المقدمة الى دراسة مزدوجة تقيم جسرا منيعا بين حازم القرطاجنى والبلاغيين ٠

ثم يمهد الدكتور الحبيب بلخوجة بمدخل تبرز فيه أهمية المنهاج من حيث إماطة اللثام عن التأثيرات اليونانية فى صناعة النقد عند العرب اذ كان حازم القرطاجنى من بين القلائل الذين قصدوا الى استخدام الطريقة الهيلينية فى نقد الشعر وتأثروا خاصة بكتاب الشعر لأرسطو ٠ فمن هو حازم القرطاجنى ؟ ثبت للمحقق أن أهم مصادر ترجمته لا تعدو ابن رشيد صاحب (ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة فى الوجهة الوجيهة الى مكة وطيبة) والمقرى صاحب نفح الطيب ، أما الدراسات ، فمقال لأميليو غارسيا قومز عن حياة حازم القرطاجنى ودراسة للمقصورة بقلم محمد المهدى علام واطروحة روبرت برنشفيق Brunschvig عن شرقى بلاد البربر فى العصر الحفصى واخيرا مقال لعبد الرحمن بدوى عن حازم القرطاجنى ونظريات أرسطو فى البلاغة والشعر ٠

امتاز العصر الذى عاش فيه حازم بانكسار شوكة المسلمين فى جنوب اسبانيا واتحاد النصارى وتحالفهم على الموحدين هناك ٠ وقد انتهز فرديناند الثالث فرصة خروج ابن هود على الموحدين ونشوب الفتن بين هذا الثائر والموحدين وبنى الأحمر ليستولى على قرطبة سنة 633 هـ ٠ فكان لسقوط قرطبة اثر كبير فى الحياة الفكرية ظهر بالخصوص فى هجرة أهل العلم والادب مثل ابن عربى وابن الابار وابن سعيد وغيرهم رغم استمرار بعض النشاط الفكرى فى مراكز ثقافية مشهورة مثال قرطبة ومالقة وغرناطة وبلنسية ومرسية واشبيلية ٠ فى هذا الوضع السياسى والثقافى ولد حازم بن محمد بن الحسن الاوسى سنة 632 هـ ٠ بمدينة قرطاجنة الواقعة بالجنوب الشرقى من بلاد الاندلس قرب مرسية ٠ واشتهر بنسبته اليها فعرف بالقرطاجنى ٠ قضى طفولته وشبابه فى يسر بين قرطاجنة ومرسية طالبا للعلم ثم انتقل الى غرناطة حيث اتصل بعلامة العصر أبى على الشلوبين فوجهه الى العلوم اليونانية ومصنفات ابن رشد والفارابى وابن سينا وغيرهم من الفلاسفة ٠ وعرف حازم نكبتين متواليتين ، الاولى وفاة والده سنة 632 والثانية سقوط قرطبة الذى أثار فزع المسلمين ٠ فهاجر الى المغرب ، ويرجح الدكتور الحبيب بلخوجة أن إقامته بمراكش كانت فيما بين 633 و 639 ٠ ولم يكن المغرب الاقصى اذ ذاك يفضل الاندلس بوجه من الوجوه ، فقد تقلص ظل الدولة الموحدية ، وكثر الاضطراب والشغب ولكن الحياة الثقافية كانت مزدهرة بعض الشيء ، فكان حازم شديد الصلة بالادباء المهاجرين من الاندلس ، يحضر سهراتهم ويغشى مثلهم بلاط الرشيد لينشده مدائحه ٠

ويبدو أن حازم لم يصبر على الاضطرابات السياسية فارتحل الى تونس وهو لم يتجاوز الثلاثين ومثل بين يدى أبى زكرياء الاول الحفصى وأنشده الشعر . وكانت تونس كعبة القصاد من بلنسية واشبيلية ومالقة وغيرها من مدن الاندلس يأتونها ليمدحوا أميرها فزعين من النصارى مستصرخين . فرمى عصا الترحال بالعاصمة الحفصية وكان المهاجرون الاندلسيون قد كونوا عصبة نشيطة فى مجال الادب والعلم أصبحت تحاك لها دسائس المنافسين الا أن حازم استطاع كسب ثقة الامير فدخل ديوان الانشاء وتخرج عليه الكثيرون مثل ابن رشيد والكتانى وابن راشد القفصى . واتصل حازم ببعض الحفصيين بعد المستنصر ابن أبى زكرياء وتوفى بتونس عن ستة وسبعين عاما سنة 684 هـ. الموافق لسنة 1285 م.

ويقسم الدكتور الحبيب بلخوجة مصنفات حازم الى ثلاثة أقسام قسم أدبى وقسمين علميين أولهما فى النحو وثانيهما فى البلاغة والنقد .

أما آثاره الادبية فمنها قصائد لم تجمع فى ديوان ولكن عثر على قسم منها بمكتبة الاسكوريال ، وأغراضها متنوعة تحتل فيها وصف الطبيعة مكانة هامة .

ومن مدائحه قصيدته الشهيرة : المقصورة وهى أرجوزة تشتمل على ستة وألف بيت عارض بها مقصورة ابن دريد ومدح بها المستنصر الحفصى على تجديده الحنايا الرومانية التى تحمل قنوات الماء من زغوان الى تونس . وقد حظيت مقصورة حازم بشروح ودراسات كثيرة فى القديم والحديث مثل شرح التجانى وشرح الغرناطى ودراسة محمد مهدى علام وغارسيا قومز الاسبانى أما آثاره الاخرى فله فى النحو مؤلفان :

1 ـ رسالة فى الرد على كتاب المقرب لابن عصفور واسم الرسالة : شد الزنار على جحفلة الحمار . وهى مفقودة .

2 ـ قصيدة نحوية ما زالت محفوظة بنصها الكامل فى مجموع مخطوط بالمكتبة الأحمدية بتونس .

وله فى البلاغة كتاب (التجنيس) ، مفقود وله تأليف فى العروض والقوافى لا يعرف أيضا وإنما أشار اليه حازم فى المنهاج وله أخيرا كتابه الخطير : منهاج البلغاء وسراج الادباء .

وجاء فى وصف المخطوطة التى اعتمدها الدكتور الحبيب بلخوجة لتحقيق منهاج البلغاء وسراج الادباء أنها ترجع تقريبا الى القرن السابع والثامن قد تملكها الشيخ بيرم الرابع ثم انتقلت بالشراء الى خير الدين فى رمضان سنة 1285 هـ. / 1828 م. الذى حبس كل المجموع على المكتبة الصادقية . أما بقية

المجموع فمخطوطتان مكتوبتان بخطين مختلفين ، كتاب القوافي ورسائل العزفي ، ومجموعات من شعر حازم القرطاجني وقصيدته النحوية ٠ وخلاصة البحث أن نسخة المنهاج ناقصة ، ولكن لا سبيل الى تسديد النقص اذ أن النسخة التونسية هي اليوم النسخة الوحيدة ٠ وقد كان الكتاب خلال العصور عرضة للتغيير بالاختصار والتبديل حتى لعنوانه ٠ فالمخطوط التونسي يحمل اسم المناهج الادبية ويرجع الدكتور الحبيب بلخوجة أن هذه التسمية من وضع بعض الناسخين ٠ أما أصل التسمية فقد جاء ذكره في كتاب السبكي (عروس الافراح) اذ عده أولا في مصادر تصنيفه وأحال عليه بنفس التسمية في التفريق بين التشبيه والاستعارة ٠ أما التسميات التي جاءت عند الصفدي في الوافي بالوفيات وعند السيوطي في كتاب المزهر وكتاب الاتقان في علوم القرآن وكتاب الاقتراح وعند المقري في كتاب الازهار فيتجاوزها محقق المنهاج ويعدها مختصرة قصد تسهيل الاحالة ٠

فكانت تسمية السبكي أصحها عنده وهي التي اعتمدها عند نشر الكتاب ٠ أما صحة نسبة منهاج الادباء وسراج البلغاء الى حازم القرطاجني ، فقد ثبتت بمقارنة نصين أوردهما الزركشي صاحب البرهان في علوم القرآن في الفصلين المسميين : الالتفات ونفي الشيء رأسا فهما يتفقان تمام الاتفاق مع ما جاء في المنهاج ٠ وقد ذكرت فقرات أخرى من المنهاج في غير هذا الكتاب إلا أنه تستحيل الآن مقابلته بنص حازم نظرا لفقدان القسم الاول من الكتاب ويرى الدكتور الحبيب بلخوجة أنها مطابقة من حيث موضوعها لقسم المنهاج المفقود ٠ ما هي هذه الاقسام المفقودة ؟٠ اعتمد المحقق للجواب عن هذا السؤال على اشارات المؤلف وعلى الشواهد المذكورة في كتاب السبكي عروس الافراح وكتاب الزركشي البرهان ٠ ومن كل هذا نستنتج ان حازما شغل في هذا القسم المفقود (بالبحث عن الغرائز وبما قصر أو طال من العبارات والالفاظ ، ٠٠٠ والابتذال والغرابة والتشبيه وشروطه والسجع والحكم والامثال وتقدير استعمال بعض الالفاظ والزيادة والقلب ، والالتفات والترتيب في المعاني والاغراض) ٠

أما القطعة المنشورة فهي تتركب من أقسام ثلاثة تبحث كلها في صناعة الشعر ٠ وفي كل واحد من هذه الاقسام أربعة أبواب وقد سمى حازم كل باب منهجا والمنهج يتألف من فصول دعاها بمعلم أو معرف ، يتبعها غالبا بملاحظات بلاغية في فصول ختامية سماها مأم أو مآم حسب الافراد والجمع ٠ وميز حازم بين الفقر في كل فصل ، فعنون لها بلفظين على التعاقب : اضاءة وتنوير ـ مثال ذلك ما نجده في قسم المعاني ـ تبدأ الفقرة التي بين أيدينا بمنهج أو باب كما أسلفنا هو : (المنهج الثاني في الابانة عن طرق اجتلاب المعاني وكيفيات التئامها وبناء بعضها على بعض ، وما تعبر به أحوالها في جميع ذلك ، من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها) ٠ ويندرج تحت هذا المنهج :

أ) معلم هو المعلم الدال على طرق العلم باقتباس المعانى وكيفية اجتلابها وتأليف بعضها الى بعض ٠

ب) ومعرف دال على طرق المعرفة بأنحاء وجود المعانى ٠

ج) ومعلم آخر دال على طرق العلم بكيفيات مواقع المعانى من النفوس من جهة ما تكون قوية الانتساب الى طرق الشعر المألوفة والاغراض المعروفة عند جمهور من له فهم بالطبع ، أو ضعيفة الانتساب الى ذلك ٠

د) ومعرف دال على طرق المعرفة بكيفيات تركيب المعانى وتضاعفها ٠

هـ) معلم دال على طرق العلم باستشارة المعانى من مكامنها واستنباطها من معادنهـا ٠

و) معرف دال على طرق المعرفة بما توجد المعانى معه حاضرة منتظمة فى الذهن على ما يجب أن يكون من بعض عـائد الى بعض ، وما به يكون كمـال التصرف فيها وفى سائر أركان هذه الصناعة على المذهب المختار ٠

ز) معلم دال على طرق العلم بالمناسبة بين بعض المعانى والمقـارنة بين ما تناظر منها ٠

وفى كل معلم أو معرف ، نجد فقرات كما أسلفنـا تسمى على التعـاقب : إضاءة ـ تنوير ، ففى إضاءة المعلم الاول من هذا المنهج الذى ذكرنا أقسامه ، ذكر للدوافع المحركة للشعر وصلتها بأغـراضه ٠ وفى التنـوير الذى يلى الاضاءة ذكر للاغراض الشعرية كالمدح والنسيب والرثاء ٠ فبينما نجـد فى الاضاءة تحليلا للحالة النفسية الحاملة على الشعر ، كالارتياح الذى يحـرك الى المدح والارتماض الذى يحرك الى الذم ، نتبين فى التنوير أغراض الشعر وأبوابه كالمديح والنسيب والرثاء ٠

وفى خاتمة هذا المنهج ، يجمع حازم ملاحظاته فى مـآم أولها (مـأم من مذاهب البلاغة المستشرفة بهذا المعلم ـ ويعنى به المعلم الاخير ـ وما تقدم فى المعلم المفتتح به هذا المنهج الذى فيه القول ، وهو المذهب الذى تقصد فيه المطابقة) ٠ وفى هذا المـآم كذلك فقرات تسمى إما إضاءة أو تنويرا ٠

والقطعة التى حققها الدكتور الحبيب بلخوجة كلها فى المعانى ويقول المحقق (وليس المقصود بالمعانى عند حازم العلم الذى تعرف به أحوال اللفظ العربى التى يطابق بها مقتضى الحال ، ولكن المراد بها لديه البحث فى حقائق المعانى ذاتها وأحوالها وطرق استحضارها وانتظامها فى الذهن وأساليب عـرضها وصور التعبير عنها) أما أقسام هذه القطعة فهى أربعة مناهج أو أبواب :

المنهج الأول فى الابانة عن ماهيات المعانى ، وليس فيه الا فقرتان من المعلم الأول نظرا للنقص الذى ذهب بقسم من الكتاب ٠

المنهج الثانى فى طرق اجتلاب المعانى ٠

المنهج الثالث فى الاستدلالات وأنواعها فى الشعر وقد أكثر حازم فى هذا القسم الاستشهاد بفن الشعر لأرسطو مما يدل على تأثره بالطريقة الهيلينية ٠

المنهج الرابع فى الابانة عن المنازع الشعرية ففى المنهـج الاول يبحث عن الطبع والملكة الشعـرية ، وفى المنهج الثانى عن قواعد الشعر ، وفى المنهج الثالث عن مراحل تأليف القصيد ، وفى المنهج الرابع والاخير عن الاسلوب ٠

أما مميزات الكتاب فهى فى نظر الدكتور الحبيب بلخوجة ترتيبه وتفرده ببعض التسميات مثل معلم ومعرف ٠ ولغته المستعصبة المتسمة بروح المنطق والحكمة ٠ أما منزلة المنهاج بين كتب النقد ، فهو فى نظـر الـزركشى ، مع مقدمة التفسير لابن النقيب أتم ما صنف العلماء فى علمى البيان والبديع ٠ ومن طريف ما فى المنهاج خروجه عن طريقة القدماء فى النقد واعتمـاده على أصول البلاغة والمنطق فاستدرك بذلك على ما فاته فى هذا الباب ٠ وأعتقد أن سرور المثقفين فى تونس سيكون كبيرا بظهور هذا الكتاب النفيس ونرجو ان نرى العديد من محققينا يعجلون بانهاء أطروحـاتهم ونشـرها بين قـراء العربية حتى يزدهر العلم ويعود لتونس سالف مجدها فى الميدان الثقافى ٠

جعفـر ماجـد

أضواء الفكر

رسالة صفاقس

• على منبر اللخمية ، وتحت اشراف اللجنة الثقافية بصفاقس ، وبمحضر جمع من رجال الادب ، وشباب الجهة وطلاب المعاهد ، القى كل من الاستاذين محسن الحبيب ، ومحمد الصالح الدشراوى محاضرة حول توفيق الحكيم ، وقد خصص الاول حديثه عن (حياة الحكيم) وتناول الثانى (القلق فى مسرح الحكيم) وذلك مساء الجمعة 22 أفريل 1967 بقاعة المحاضرات البلدية ٠

• **مهرجان شعرى بصفاقس :**

التأم صباح الاحد 30 افريل 1967 مهرجان شعرى بقاعة المحاضرات البلدية ٠ شارك فيه جمع من شعراء الجمهورية لبوا دعوة اللجنة الثقافية ومن بينهم الاساتذة الطاهر القصار ـ الصادق الفقى ـ احمد القديدى ـ سعد الغزال ـ محمد الصغير ـ محمد القرقوى ـ عبد العزيز طريفة ـ محمد الشعبونى ، وقد كان لتنوع المواضيع واختلاف الاساليب أثره الكبير ، فى اضفاء روح من الروعة والجلال على هذا المهرجان ، الذى اجتمعت فيه أنفاس الشيوخ ، ودمدمة الكهول ، بشدو الشباب ، وترانيم الحياة ٠

• **الملتقى الشعبى الخامس للمسارح :**

انتظم الملتقى الشعبى الخامس للمسارح من 29 افريل الى 10 ماى وكان هذا الملتقى المسرحى عاملا من عوامل التقارب بين تونس والجزائر ، وبين صفاقس وولايات الجمهورية ، كما كان هذا الملتقى داعيا لاقامة حفلات سينمائية ومسرحية بمعتمديات صفاقس ٠

ومن أبرز المسرحيات التى قدمت فى هذا الملتقى : مسرحية (حارس المحطة) ومسرحية (صلاح الدين) (لفرقة صفاقس) ومسرحية (سعادة وسعادة) (لدار الثقافة بتونس) ومسرحية (الحضيض) (لمركز الفن المسرحى بتونس) و (السكك الذهبية) (لفرقة الجزائر) و (السلطان الحائر) (مفرقة سوسة) و (الدنيا وفات) (للهلال التمثيلى و (يارمنا) لبلدية تونس كما احيت الفرقة القومية للفنون الشعبية حفلات ساهرة بالمدينة وخارجها ٠

• **دراسات حول الآثار للاستاذ محمد فنطر**

دراسة حفرية أثرية قام بها مع زوجته في جزيرة سردانيا في شهر سبتمبر من سنة 1965 • ونشر المقال في مجلة إيطالية تعرف باسم "Monte Sirai" العدد 3 وقد ظهر خلال السنة الفارطة • تعلقت الحفرية بقبر بونيقي فوصف الأثريان نتيجة الحفرية مما جعلهما يبرزان العلاقة التي كانت تربط قرطاج بجزيرة سردانيا •

ونشر الأستاذ محمد فنطر في مجلة إيطالية حديثة تدعى "Studi magrebini" مقالا حول التبليط البونيقي المتحلي بأشكال الفسيفساء ولعلها أقدم ما لدينا عن الفسيفساء بشمال افريقية • يوجد هذا النوع من التبليط بمدينة كركوان الأثرية الكائنة بين قليبية والهوارية على شاطىء البحر مباشرة • ومن بين الصور التي حاكتها كسرات المرمر الأبيض في مدينة كركوان تعرض الأثري خاصة إلى « علامة تانيت » ومدلولها بالنسبة للذين وضعوها على عتبة القاعة الرئيسية بالمنزل • ظهر هذا المقال في المجلة الآنفة الذكر العدد 1 تحت عنوان "Pavimenta Punica et signe dit de Tanit dans les habitations de Kerkouane"

ونشرت الاكاديمية الايطالية بروما مقالا للاستاذ محمد فنطر حول نقيشة بونيقية عثر عليها أخيرا بمدينة قرطاج على حافة الطريق التي تصل بين محطة القطار والمعلقة • وهي نقيشة وحيدة من نوعها حتى الآن إذ تتعلق بالحياة المدنية • تتحدث عن صهريج شيد قرب باب الجديد وهي تكشف عن بنايات المدينة وهندستها كما تساعدنا على معرفة الحياة السياسية والاقتصادية بقرطاج خلال القرن الثالث قبل المسيح • تجدون المقال في Accademia Nazionale dei Lincei. 1966

• نذكر القراء الكرام بان ما ينشر « بالفكر » لا يلزم الا صاحبه وان الافتتاحية هي التي تعبر ـ وحدها ـ عن رأى أسرة المجلة •